تحفة التصوف

في رحاب

تاج العروس وتهذيب النفوس

لابن عطاء الله السكندري

أعده وقدم له

محمد محمود القاضي



الطبعة الأولى
١٤٢٨-٢٠٠٧

رقم الإيداع
٢٠٠٧/٧٥٤٨

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلى سيدنا ومولانا محمد بن عبدالله ﷺ، وإلى آل بيته الكرام ﷺ، وإلى صحبه الأطهار الأبرار، ثم إلى كل من سار على نهجه وهديه يدعو إلى الله على بصيرة من مشايخنا فى الله تعالى كابرا عن كابر على درب سيدنا أبى الحسن الشاذلى وخليفته ووارثه سيدنا أبى العباس المرسى وتلميذه القطب الربانى سيدنا ابن عطاء الله السكندرى ﷺ أجمعين.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن سار على هديه واستن بسنته إلى يوم الدين، وبعد..

فهناك حقيقة لا بد من ذكرها فى مقدمة هذا الكتاب، فإنه نادرا ما نجد كمالا فى النفس أو إحسانا فى السلوك أو قدرة على التعامل إلا إذا وجدت تربية إسلامية صوفية صافية، وذلك لأن مفاتيح النفس البشرية إنما هى فى هذه التربية وأصولها وقواعدها؛ لأن الصوفية

هم الذين ورثوا عن رسول الله ﷺ تربية النفس وتزكيتها وتخصصوا لذلك وتفرغوا له، وفطنوا لما لم يفطن له غيرهم، وقامت لهم فيه أسواق من التجارب الثرية فى كل عصر، فما لم يأخذ الإنسان عنهم تبقى نفسه بعيدة عن الحال النبوية، إن أهل التصوف الحق هم الذين ملكوا العلم الذى تتهذب به النفوس..

يقول أبو الحسن الشاذلى ﷺ التصوف تدريب النفس على العبودية، وردها لأحكام الربوبية.

ويقول -أيضا-: الصوفى فيه أربعة أوصاف:

- التخلق بأخلاق الله عز وجل.
- المجاورة لأوامر الله.
- ترك الانتصار للنفس حياء من الله.
- ملازمة البساط بصدق البقاء مع الله.

وبكلام أبى الحسن تكتمل الصورة عن التصوف، وهى: تصفية للنفس كوسيلة، وقرب ومشاهدة كغاية. والتصوف يتضمن الوسيلة والغاية، أو الطريقة والحقيقة.

وطريق التصوف لابد فيه من أمور، هي: الإخلاص لله، والتوبة إلى الله، والنية الصادقة، والطريق القصد إلى الله تعالى، والخلوة، وجهاد الشيطان والنفس والدنيا، والعبودية الكاملة لله، وأداء الطاعات، والذكر، والورع، والزهد، والتوكل، والرضا، والمحبة. وهذه الأربعة الأخيرة هى بساط الكرامة عند أبى الحسن، يقول ﷺ: بساط الكرامة أربع:

- حب يشغلك عن حب غيره.
- ورضا يتصل به حبك بحبه.
- وزهد يحققك بزهد فى بريته.
- وتوكل عليه يكشف لك عن حقيقة قدرته.

ومن رواد التربية الصوفية الصافية على مر العصور الشيخ ابن عطاء الله السكندرى، ولقد ألف ابن عطاء الله كتابا رائعا فى التصوف وهو "تاج العروس الحاوى لتهذيب النفوس"، وهو كتاب جليل القدر، عظيم النفع، عميم الفائدة، لا يستغنى عنه مسلم فى حياته، بل يحتاج إليه العالم وغيره، لما فيه من حكم غالية، ونصائح ثمينة، ومواعظ جليلة، وعالج فيه أمراضًا قلبية

خطيرة، ووجه فيه قارئيه التوجيه السديد السليم، فيأخذ بأيديهم إلى معرفة الله عز وجل؛ مما جعل الناس يسمونه "تحفة التصوف".

وليس هذا الأمر بغريب عن ابن عطاء، فقد كان -رحمه الله- عالمًا عابدًا زاهدًا، رزقه الله حسن البصيرة، فجمع بين الحقيقة والشريعة، وفهم الدين على حقيقته، فأمر فيه بالسير على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

وفى هذا الكتاب نعيش فى ظلال كتاب "تحفة العروس فى تهذيب النفوس" لابن عطاء، واستعنا فى ذلك بالجهد العظيم الذى قام به الأستاذ/ على حسن العريض أجزل الله المثوبة وحسن الجزاء، فقد قام بترتيب موضوعات الكتاب، وجعل لكل موضوع عنوانًا، وشرح كلماته الغامضة، وزاد فيه بعض الشواهد، ووضع أرقام الآيات وأسماء السور، وأسند الأحاديث إلى رواتها بعد تخريجها بأسلوب سهل، وعبارة قريبة الفهم، خدمة للعلم، ولقد كان هدف الرجل أن ينفع الله به المسلمين، وحرصا على تحقيق هذا الهدف، وفق الله سبحانه أحد تلامذة الشيخ الدكتور عبد الحليم محمود -رحمه الله وطيب ثراه- ، وهو فضيلة المهندس قاسم خاطر -بارك الله فيه-

بطباعة هذا الكتاب على نفقته الخاصة هبة لوجه الله الكريم، وإتماما للفائدة قدمنا بين يدى الكتاب بترجمة يسيرة عن ابن عطاء وبيان قدره، وإتماما للفائدة ألحقنا بآخر الكتاب أصول الطريق الشاذلى، وسفينة النجاة، وبعض أوراد سيدنا أبى الحسن الشاذلى ﷺ.

والرسول الكريم ﷺ يقول: "الدال على الخير كفاعله"، فنسأل الله سبحانه أن يجعل هذا العمل مقبولاً لوجهه الكريم، وأن يضعه فى كفة حسنات كل من أسهم فيه بدءا من مولفه ابن عطاء الله السكندرى وأستاذه وشيخه أبى العباس المرسى، وشيخ شيخه أبى الحسن الشاذلى، ومرورا بالسلسلة المباركة إلى أن تصل إلى مشايخنا الشيخ عبد الفتاح القاضى، والشيخ عبد الجليل قاسم، والشيخ عبد الحليم محمود، والشيخ قاسم خاطر.

وصل اللهم على سيدنا محمد النور الذاتى، والسر السارى فى سائر الأسماء والصفات، وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

محمد محمود القاضى

ابن عطاء الله السكندرى

حياته ومكانته

هو تاج الدين أبو الفضل أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن عيسى بن الحسين بن عطاء الله الجذامى نسبا، المالكى مذهبا، الإسكندرى دارا، الشاذلى طريقة، الصوفى حقيقة.

وهو أحد أركَان الطريقة الشَاذلية الصوفية التى أسسها الشيخ أبو الحسن الشاذلي، وخَلِيفتُه أبو العبَاس المرسي .

وقد نشأ ابن عطاء فى الإسكندرية وبها تلقى ثقافته الأولى، وقد وَفد أجداده المَنسوبون إلى قَبيلةِ جذّام، إلى مصر بعد الْفتح الإسلامي و استوطنوا الإسكندرية حيث ولد ابن عطَاء الله سنة (٦٥٨هـ / ١٢٦٠ م)، و نَشأ كجدهِ لوَالده الّشيخ أبى مُحمد عبد الْكريم بن عطَاء الله، فَقيهاً يَشتغلُ بالعُلومِ الشَرعية؛ حيث تلقى منذ صباه العَلوم الدينية والشرعية و اللغوية، و كان فى هذا الطَور الأول من حيَاتِه يُنكر على الصوفية إنكارا شَديداً تعصباً منه لعلومِ الفقهَاءِ. فما أن صحب شيخه أبو العباس

المرسي، و استمع إليـه بالإسـكندرية حتـى أعجـب بـه إعجَابًـا شديدًا، وأخذ عنه طريق الصوفية، وأصبح مـن أوَائـل مُريديـه. حيث تَدرج ابن عطَاء فى مَنَازل الْعلـم والمعرفـةِ حتـى تَنبـأ لـه الشيخ أبو العبَاس يوماً فقَال له: "الزم، فو الله لئن لزمت لتكونن مُفتياً فى الْمذهبين" (يَقصدُ مَذهب أهـل الحَقيقـة وأهـل العلـم البَاطن).

قصته مع شيخه أبى العباس المرسى:

ويذكر ابن عطاء قصة تعارفه بأبى العبـاس، فيقـول - كمـا جاء فى كتابه "لطائف المنن" - : كنت لأمره (أى: أبـى العبـاس) من المنكرين، وعليه من المعترضين، لا لشـىء سمعتـه منـه، ولا لشىء صح نقله عنه، حتى جـرت بينـى وبـين بعـض أصـحابه مقالة، وذلك قبل صحبتى إياه، وقلـت لرجـل مـنهم: لـيس إلا أهل العلم بالظاهر، وهؤلاء القوم يدعون أموراً عظيمـة، ظـاهر الشرع يأباها. ثم قلت فى نفسى: دعنى أذهب إلى هذا الرجل، أنظر فى شأنه، فصاحب الحق له إمارات لا تخفى.

فأتيت مجلسه فوجدته يتكلم فى الأنفاس التى أمر الشـارع بها، فقال: "الأول إسلام، والثانى إيمـان، والثالـث إحسـان. وإن

شئت قلت: الأول عبادة، والثانى عبودية، والثالث عبودة. وإن شئت قلت: الأول شريعة، والثانى حقيقة، والثالث تحقق. فما زال يقول: وإن شئت قلت، وإن شئت قلت، إلى أن بهر عقلي، و علمت أن الرجل إنما يغترف من فيض بحر إلهى، ومدد ربانى، فأذهب الله ما كان عندى.

ويستطرد ابن عطاء الله فى قصته مع الشيخ أبى العباس فيقول: ثم أتيت إلى المنزل فوجدت معنى غريباً لا أدرى ما هو، فانفردت فى مكان أنظر إلى السماء وإلى كواكبها، وما خلق الله فيها من عجائب قدرته، فحملنى ذلك على العودة إليه مرة أخرى.

فأتيته فاستؤذن لى عليه، فلما دخلت عليه قام قائما وتلقانى ببشاشة وإقبال، حتى دهشت خجلاً، و استصغرت نفسى أن أكون أهلاً لذلك، فكان أول ما قلت له: يا سيدى، أنا والله أحبك، فقال أحبك الله كما أحببتنى. ثم شكوت إليه ما أجده من هموم وأحزان، فقال: أحوال العبد أربع لا خامس لها: النعمة، والبلية، والطاعة، والمعصية، فإن كنت بالنعمة فمقتضى الحق منك الشكر، وإن كنت بالبلية فمقتضى الحق

منك الصبر، وإن كنت بالمعصية فمقتضى الحق منك الاستغفار، وإن كنت بالطاعة فمقتضى الحق منك شهود منته عليك فيها.

فقمت من عنده وكأنما كانت الهموم والأحزان ثوباً نزعته. ثم سألني بعد ذلك بمدة: كيف حالك؟ فقلت: أفتش عن الهم فما أجده، فقال: الزم، فوالله إن لزمت لتكونن فقيها فى المذهبين، يريد مذهب أهل الشريعة من أصحاب العلوم الظاهرة ومذهب أهل الحقيقة من أصحاب علوم الباطن.

ثناء العلماء على ابن عطاء:

وقد أثنى العلماء عليه ثناء جميلا، فقد قال ابن حجر فى مدحه: صحب الشيخ أبا العباس المرسى صاحب الشاذلى، وصنف مناقبه، ومناقب شيخه، وكان المتكلم على لسان الصوفية فى زمانه.

وقال الذهبى: كانت له جلالة عظيمة، ووقع فى النفوس، ومشاركة فى الفضائل، وكان يتكلم بالجامع الأزهر بكلام يروح النفوس، ومزج كلام القوم بآثار السلف، فكثر أتباعه، وكانت عليه سيما الخير.

وقال ابن الأهدال: الشيخ العارف بالله، شيخ الطريقين، وإمام الفريقين، كان فقيها عالما... وله عدة تصانيف كلها مشتملة على أسرار ومعارف وحكم ولطائف، ومن طالع كتبه عرف فضله.

وتوفى ابن عطاء و دفن بالقَاهرةِ فى جمادى الآخرة سنة (٧٠٩ هـ/ ١٣٠٩م)، ولا يزال قَبره مَوجودا إلى الآن بجبَانة سيدى على أبى الوفاء تحت جبل المُقطمِ من الجهةِ الشرقية لجَبانة الإمام الليث، وكانت جنازته عظيمة حضرها جمع كبير من الناس، فرضى الله عنه ورحمه رحمة واسعة.

مؤلفات ابن عطاء:

- أصول مقدمات الوصول
- تاج العروس الحاوى لتهذيب النفوس
- الطريق الجادة فى نيل السعادة
- لطائف المنن فى مناقب الشيخ أبى العباس المرسى وشيخه أبى الحسن الشاذلى رضى الله عنها.
- مفتاح الفلاح ومصباح الأرواح فى ذكر الله الكريم

الفتاح.

- الحكم العطائية.

ولا شك أن الحكم العطائية من أشهر كتبه، وهو عبارة عن حكم منثورة على لسان أهل الطريقة الصوفية، احتوت على التصوف وتطبيق الشريعة .

ولما صنفها عرضها على شيخه ابى العباس المرسى، فتأملها وقال له: لقد أتيت يابنى فى هذه الكراسة بمقاصد الإحياء (أى إحياء علوم الدين للغزالى) وزيادة.

ولذلك تعشقها أرباب الذوق، لما رق من معانيها وراق، وبسطوا القول فى شرحها وبيانها، وصارت تدرس وتشرح لأنها زبدة التصوف. ويقوم كتاب الحكم على دعائم أربعة:

الأولى: علم التذكير والوعظ.

والثانية: تصفية الأعمال وتصحيح الأحوال.

الثالثة: تحقيق الأحوال والمقامات.

الرابعة : المعارف والعلوم الإلهية.

ثم ختم بلطائف من المناجاة، وعدد الحكم الواردة هى (مائتان وثلاث وستون حكمة).

ابن عطاء الله السكندرى يناظر ابن تيمية:

وتنقل لنا كتب التاريخ مناظرة عظيمة دارت بين شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-، وابن عطاء الله الإسكندرى -رحمه الله- وسوف نورد بعضها لنعرف كيف كان يتحاور العلماء الأجلاء الذين يبحثون عن الحق ولا يخرجون عن أدب الإسلام..

صلى ابن تيمية المغرب فى الأزهر وراء ابن عطاء الله، ولما انقضت الصلاة دار بينهما هذا الحوار: وهذا نصه ملخصا:

ابن عطاء الله: ما ذا تعرف عنى يا شيخ ابن تيمية؟

قال ابن تيمية: أعرف عنك الورع، وغزارة العلم، وحدة الذهن، وصدق القول، وأشهد أنى ما رأيت مثلك فى مصر ولا فى الشام حبا لله أو فناء فيه أو انصياعا لأوامره ونواهيه، ولكنه الخلاف فى الرأى، فماذا تعرف عنى أنت؟ هل تدعى على الضلال إذ أنكر استغاثة غير الله؟

قال ابن عطاء الله: أما آن لك يا فقيه أن تعرف أن الاستغاثة هى الوسيلة والشفاعة، وأن الرسول ﷺ يستغاث ويتوسل به ويستشفع؟

قال ابن تيمية: أنا فى هذه أتبع السنة الشريفة، فقد جاء فى الحديث الصحيح (أعطيت الشفاعة) وقد أجمعت الآثار فى تفسير الآية الشريفة: (عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا) على أن المقام المحمود هو الشفاعة. والرسول ﷺ لما ماتت أم أمير المؤمنين على رضى الله عنهما، دعا لها الله على قبرها: "الله الذى يحيى ويميت، وهو حى لا يموت، اغفر لأمى فاطمة بنت أسد، ووسع عليها مدخلها، بحق نبيك والأنبياء الذين من قبلى، فإنك أرحم الراحمين.

فهذه هى الشفاعة، أما الاستغاثة ففيها شبهة الشرك بالله تعالى. وقد أمر الرسول ﷺ ابن عمه عبد الله بن عباس ألا يستعين بغير الله.

قال ابن عطاء الله: أصلحك الله يا فقيه، أما نصيحة الرسول ﷺ لابن عباس فقد أراد منه أن يتقرب إلى الله بعلمه لا بقرابته من الرسول ﷺ، وأما فهمك أن الاستغاثة استعانة بغير

الله فهى شرك، فمن من المسلمين الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر ورسوله يحسب أن غيره تعالى يقضى، ويقدر، ويثيب ويعاقب؟! فإنما هى ألفاظ لا تؤخذ على ظاهرها، ولا خوف من الشرك لنسد إليه الذريعة، فكل من استغاث بالرسول ﷺ، فهو إنما يستشفع به عند الله، مثلما تقول أنت: أشبعنى هذا الطعام، فهل الطعام هو الذى أشبعك، أم أن الله تعالى هو الذى أشبعك بالطعام؟

وأما قولك إن الله نهانا أن ندعو غيره، فهل رأيت من المسلمين أحدا يدعو غير الله؟ إنما نزلت هذه الآية فى المشركين الذين كانوا يدعون آلهتهم من دون الله، إنما يستغيث المسلمون بمحمد ﷺ بمعنى التوسل بحقه عند الله، والتشفع بما رزقه الله من شفاعة، أما تحريمك الاستغاثة لأنها ذريعة إلى الشرك، فإنك كمن أفتى بتحريم العنب لأنه ذريعة إلى الخمر، وبخصى الذكور غير المتزوجين سدا للذريعة إلى الزنا. وضحك الشيخان ! !

واستطرد ابن عطاء الله: وأنا أعلم ما فى مذهب شيخكم الإمام أحمد من سعة، وما لنظرك الفقهى من إحاطة، وسد الذرائع يتعين على من هو فى مثل حذقك، وحدة ذهنك،

وعلمك باللغة أن تبحث عن المعانى المكنونة الخفية وراء ظاهر الكلمات، فالمعنى الصوفى روح، والكلمة جسد، فاستقصى ما وراء الجسد لتدرك حقيقة الروح.

ثم استطرد ابن عطاء الله يقول: ثم إنك اعتمدت فى حكمك على ابن عربى، على نصوص قد دسها عليه خصومه، وأما شيخ الإسلام عز الدين بن عبد السلام فإنه لما فهم كتابات الشيخ، وحل رموزها وأسرارها، وأدرك إيحاءاتها استغفر الله عما سلف منه، وأقر بأن محيى الدين بن عربى إمام من أئمة الإسلام . وأما كلام الشاذلى ضد ابن عربى فليس أبو الحسن الشاذلى هو الذى قاله، بل أحد تلاميذه من الشاذلية، وهو ما قاله فى الشيخ ابن عربى، بل قاله فى بعض المريدين الذين فهموا كلامه على غير وجهه . . .

قال ابن تيمية: ولكن أين تذهبون من الله وفيكم من يزعم أنه ﷺ بشَّر الفقراء بأنهم يدخلون الجنة قبل الأغنياء، فسقط الفقراء منجذبين ومزقوا ملابسهم، وعندئذ نزل جبريل وقال للنبى ﷺ: إن الله تعالى يطلب حظه من هذه المزق، فحمل جبريل واحدة منها، وعلقها على عرشه تعالى، ولهذا يلبس

الصوفية المرقعات ويسمون أنفسهم الفقراء.

قال ابن عطاء الله: ما كان الصوفية يلبسون الخرق، وهأنذا أمامك فما تنكر من هيئتى؟

قال ابن تيمية: أنت من رجال الشريعة، وصاحب حلقة فى الأزهر .

قال ابن عطاء الله: والغزالى كان إماما فى الشريعة والتصوف على السواء، وقد عالج الأحكام والسنن والشريعة بروح المتصوف، وبهذا المنهاج استطاع إحياء علوم الدين.

نحن نعلّم الصوفية أن القذارة ليست من الدين، وإن النظافة من الإيمان، وأن الصوفى الصادق يجب أن يعمر قلبه بالإيمان الذى يعرفه أهل السنة. لقد ظهر بين الصوفية منذ قرنين من الزمان أشياء كالتى تنكرها الآن، واستخفوا بأداء العبادات، واستهانوا بالصوم والصلاة، وركضوا فى ميدان الغفلات . . . وادعوا أنهم تحرروا من رق الغفلات والأغلال، ثم لم يرضوا بما تعاطوه من سوء هذه الأفعال، حتى أشاروا إلى أغلى الحقائق والأحوال كما وصفهم القشيرى الإمام الصوفى العظيم فوجه

إليهم الرسالة القشيرية، ترسم طريق الصوفى إلى الله، وهى تمسكه بالكتاب والسنة. إن أئمة الصوفية يريدون الوصول إلى الحقيقة، ليس فقط بالأدلة العقلية التى تقبل العكس، بل بصفاء القلب ورياضة النفس، وطرح الهموم الدنيوية، فلا ينشغل العبد بحب غير الله ورسوله. وهذا الانشغال السامى، يجعله عبدا صالحا، جديرا بعمارة الأرض وإصلاح ما أفسده حب المال والحرص على الجاه والجهاد فى سبيل الله.

وقال ابن عطاء الله: إن الأخذ بظاهر المعنى يوقع فى الغلط أحيانا يا فقيه، ومن هذا رأيك فى ابن عربى، وهو إمام ورع من أئمة الدين، فقد فهمت ما كتبه على ظاهره، والصوفية أصحاب إشارات وشطحات روحية ولكلماتهم أسرار.

قال ابن تيمية: هذا الكلام عليك لا لك؛ فالقشيرى لما رأى أتباعه يضلون الطريق قام عليهم ليصلحهم، فماذا فعل شيوخ الصوفية فى زماننا؟! إنما أريد من الصوفية أن يسيروا على سنة هذا السلف العظيم من زهاد الصحابة، والتابعين وتابعيهم بإحسان، إنى أقدر من يفعل منهم ذلك وأراه من أئمة الدين. أما الابتداع وإدخال أفكار الوثنيين من متفلسفة اليونان، وبوذية

الهند، كادعاء الحلول والاتحاد ووحدة الوجود، ونحو ذلك مما يدعو إليه صاحبك فهذا هو الكفر المبين .

قال ابن عطاء الله: ابن عربى رضى الله عنه كان أكبر فقهاء الظاهر بعد ابن حزم الفقيه الأندلسى المقرب إليكم يا معشر الحنابلة. كان ابن عربى ظاهريا، ولكنه يسلك إلى الحقيقة طريق الباطن، أى تطهير الباطن! وليس كل أهل الباطن سواء! ولكيلا تضل أو تنسى أعد قراءة ابن عربى بفهم جديد لرموزه، وإيحاءاته تجده مثل القشيرى، قد اتخذ طريقة إلى التصوف فى ظل ظليل من الكتاب والسنة، إنه مثل حجة الإسلام الشيخ الغزالى يحمل على الخلافات المذهبية فى العقائد والعبادات، ويعتبرها انشغالا بما لا جدوى منه، ويدعو إلى أن محبة الله هى طريقة العابد فى الإيمان فماذا تنكر من هذا يا فقيه ؟ أم أنك تحب الجدل الذى يمزق أهل الفقه. لقد كان الإمام مالك رضى الله عنه يحذر من الجدل فى العقائد ، ويقول (كلما جاء رجل أجدل من رجل نقص الدين) .

قال الغزالى: "اعلم أن الساعى إلى الله تعالى لينال قربه هو القلب دون البدن، ولست أعنى بالقلب اللحم المحسوس، بل

هو سر من أسرار الله عز وجل لا يدركه الحس . . . "إن أداء التكاليف الشرعية فى رأى ابن عربى وابن الفارض، عبادة محرابها الباطن، لا شعائر ظاهرية، فما جدوى قيامك وقعودك فى الصلاة إذا كنت مشغول القلب بغير الله؟ ! مدح الله تعالى أقواما بقوله تعالى:(الذين هم فى صلاتهم خاشعون)، وذم أقواما بقوله: (الذين هم عن صلاتهم ساهون). وهذا هو الذى يعنيه ابن عربى بقوله إن التعبد محرابه القلب أى الباطن لا الظاهر . . . الصوفى الحق ليس هو الذى يستجدى قوته ويتكفف الناس، إنما هو الصادق الذى يهب روحه وقلبه، ويفنى فى الله بطاعة الله ، ومن هنا تنبع قوته ، فلا يخاف غير الله . ولعل ابن عربى قد أثار عليه بعض الفقهاء لأنه أزرى على اهتمامهم بالجدل فى العقائد، مما يشوش على صفاء القلب، ثم فى وقوع الفقه وافتراضاته فأسماهم (فقهاء الحيض) وأعيذك بالله أن تكون منهم، ألم تقرأ قول ابن عربى: (من يبنى إيمانه بالبراهين والاستدلالات فقط لا يمكن الوثوق بإيمانه، فهو يتأثر بالاعتراضات، فاليقين لا يستنبط بأدلة العقل إنما يعترف من أعماق القلب). ألم تقرأ هذا الكلام الصافى العذب قط؟!.

قال ابن تيمية: أحسنت والله إن كان صاحبك كما تقول فهو أبعد الناس عن الكفر ، ولكن كلامه لا يحمل على هذه المعانى فيما أرى .

قال ابن عطاء الله : إن له لغة خاصة، وهى مليئة بالإشارات والرموز والإيحاءات والأسرار والشطحات. ولكن فلنشتغل بما هو أجدى ، وبما يحقق مصلحة الأمة، فلنشتغل بدفع الظلم، وحماية العدل المنتهك، أرأيت ما فعله بيبرس وسلار بالرعية منذ خلع الناصر نفسه، فانفرد بالحكم، وإن عاد السلطان الناصر وهو يؤثرك على كل الفقهاء، ويستمع لك فأسرع إليه وانصح له . .

***

تاج العروس

الحاوى لتهذيب النفوس

لابن عطاء الله

وجوب اتباع النبى ﷺ

اعلم أنه لا يحصل لك الرفعة والمكانة عند الله تعالى إلا بمتابعة النبى ﷺ ولا يحصل لك الإهمال، والبعد عن الله إلا بإهمالك عن متابعة النبى ﷺ ، قال الله تعالى فى كتابه العزيز: (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) (١).

والمتابعة له ـ عليه الصلاة والسلام ـ على قسمين جلية وخفية، فالجلية كالصلاة، والصيام، والحج، والزكاة، والجهاد فى سبيل الله وغير ذلك من أعمال الشرع الحكيم.

والخفية، أن تعتقد الجمع مع الله فى صلاتك، وتتخشع فيها، وأن تتدبر فى قراءتك فتتفهمها، فإذا فعلت الطاعة كالصلاة، وتلاوة القرآن الكريم ولم تجد فيها جمعًا مع الله تعالى، ولا خشية ولا تفكرًا ولا تدبرًا، فاعلم أن بك داءً باطنًا من كبر أو عجب أو غير ذلك.

(١) آية ٣١ من سورة آل عمران.

قال الله تعالى: (سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ)[1]. فيكون مثالك كالمصاب بالحمى، يجد فى فمه الحلو مرًا، ولا يجد لذة لأشهى الأطعمة وأحلاها، وذلك لما يجد من مرارة الداء فى جوفه، فلا يجد لطاعة الله لذة ولا حلاوة. قال تعالى: حكاية عن سيدنا إبراهيم الخليل عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأزكى التسليم: (فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي)[2].

فمفهوم هذا أن من لم يتبعه فليس منه، قال تعالى حكاية عن سيدنا نوح عليه وعلى نبينا أزكى السلام: (إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي) فأجابه سبحانه وتعالى بقوله: (قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ)[3].

فالمتابعة تحيل التابع كأنه جزء من المتبوع وإن كان أجنبيًا عنه، كسلمان الفارسى ﷺ حين قال له ﷺ: "سلمان منا أهل البيت".

---

(١) آية ١٤٦ من سورة الأعراف.

(٢) من آية ٣٦ من سورة إبراهيم.

(٣) من آية ٤٦ من سورة هود.

ومعلوم أن سيدنا سليمان من أهل فارس، وليس بقرشى، وكان عبدًا يباع فى الأسواق، ولكن المتابعة ألحقته بأسرة النبى ﷺ العربى القرشى الهاشمى، تعليمًا من النبى ﷺ لأمته، وإشارة إلى أن العمل الصالح يرفع صاحبه إلى أسمى درجات الرفعة. وكما أن المتابعة تثبت الاتصال، كذلك عدمها يثبت الانفصال، كابن سيدنا نوح عليه السلام الذى قال عنه تعالى: (إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ)[1]، وكامرأتى نوح ولوط اللتين حدث الله عنهما فقال فى كتابه العزيز: (ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ)[2].

وقد جمع الله الخير كله فى بيت، وجعل مفتاحه متابعة النبى ﷺ فتابعه بالقناعة:

١ ـ بما رزقك الله تعالى.

٢ ـ والزهد عما فى أيدى الناس.

(١) من الآية ٤٦ من سورة هود.

(٢) آية ١٠ من سورة التحريم.

٣ ـ وعدم التكالب على الدنيا.

٤ ـ وترك ما لا يعنى من قول وعمل.

فمن فتح له باب المتابعة، فذلك دليل على محبة الله لـه، قـال تعالى: (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ اللَّـهُ)[1]. وإذا أردت أن تطلـب الخـير كلـه فقـل: اللـهم إنـى أسـألك المتابعـة لرسولك ﷺ فى الأقوال والأفعال.

ومـن أراد ذلـك فعليـه بعـدم الظلـم لعبـاد الله تعـالى فـى أعراضهم وأنسابهم، فلو سلموا من ظلم بعضهم بعضًا لانطلقـوا إلى الله، ولكنهم معوقون، محجوبون بالوقوع فى المظالم، كالمـديون يسجن بسبب من يطلبه بحقه.

واعلم أنك لو كنت محبوبًا عند الملك، مقربًا منه، وجـاء مـن يطلبك بدين فى حضرته، ضيق عليـك، وفضـحك، وألحـق بـك العار، وانقص من قدرك أمـام السـلطان، ولـو كـان الـدين قـدرًا يسيرًا، فكيف بك إذا جئت يـوم القيامـة، ومائـة ألـف إنسـان أو أكثر يطلبونـك بـديون مختلفـة، مـن أخـذ مـال، وقـذف عـرض،

(١) من آية ٣١ من سورة آل عمران.

وضرب، وسب وشتم، وغير ذلك. فكيف يكون حالك وأنت واقف بين يدى ملك الملوك. وفى حضرة النبى ﷺ وأمام الخلق أجمعين، قال رسول الله ﷺ: أتدرون من المفلس؟ قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع. فقال: إن المفلس من يأتى يوم القيامة بصلاة، وصيام وزكاة، ويأتى وقد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته. فإذا فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه، ثم طرح فى النار.[1]

(١) رواه مسلم والترمذى.

فضل الصلاة على النبي ﷺ

من قارب فراغ عمره ويريد أن يستدرك ما فاته من تقصيره في حق الله تعالى، وعمل الصالحات. فعليه بالإكثار من الأذكار الجامعة فإنه إذا فعل ذلك صار العمر القصير طويلاً، كأن يقول: سبحان الله العظيم، وبحمده عدد خلقه، ورضاء نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته"، فعن جويرية بنت الحارث ـ رضي الله عنها ـ أن النبي ﷺ خرج من عندها، ثم رجع بعد أن أضحى وهي جالسة. فقال لها: ما زلت على الحالة التي فارقتك عليها. قالت نعم. قال النبي ﷺ: لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن: "سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضاء نفسه، وزنة عرشه ومداد كلماته"[1].

وكذلك من فاته كثرة الصيام والقيام، فعليه أن يشغل نفسه بالصلاة على رسول الله ﷺفإنك لو فعلت في جميع عمرك كل طاعة، ثم صلى الله عليك صلاة واحدة، رجحت تلك الصلاة الواحدة على كل ما عملته في عمرك كله من جميع الطاعات؛

(١) رواه مسلم وأبو داود.

لأنك تصلى على قدر وسعك وهو يصلى حسب ربوبيته، وهذا إذا كان صلاة واحدة، فكيف إذا صلى عليك عشرًا بكل صلاة صليتها على الرسول ﷺ كما جاء فى الحديث الشريف.

فعن أبى هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "من صلى على صلاة واحدة، صلى الله عليه عشرًا".[1]

فما أحسن العيش إذا أطعت الله فيه، بذكر الله تعالى واشتغلت بالصلاة على رسول الله ﷺ فى جميع الأوقات مع إخلاص القلب، وصفاء الضمير، وحسن النية. والشعور بالحب لرسول الله ﷺ وقد أمرنا الله بالصلاة والسلام عليه فى كتابه العزيز فقال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِى يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) [2].

---

(١) رواه مسلم وأبو داود.

(٢) آية ٥٦ من سورة الأحزاب.

طلب التوبة

أيها العبد اطلب التوبة من الله فى كل وقت، فإن الله تعالى قد ندبك إليها، وأمرك بها، فقال تعالى: (وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) (١).

والتوبة توصلك إلى أن تكون من أحباب الله تعالى قال عز وجل: (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ) (٢).

وعن الأعز المزنى ﷺ أن النبى ﷺ قال: "إنه ليغان على قلبى، وإنى لأستغفر الله فى اليوم مائة مرة" (٣).

وعن أبى هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "والله إنى لأستغفر الله وأتوب إليه فى اليوم أكثر من سبعين مرة" (٤).

فينبغى لك ألا تخلو من التفكر طول عمرك، فتفكر فيما صنعت فى نهارك، فإن وجدت طاعة فاشكر الله عليها، وإن وجدت معصية فوبخ نفسك على ذلك، واستغفر الله وتب إليه،

(١) من آية ٣١ من سورة النور.

(٢) من آية ٢٢٢ من سورة البقرة.

(٣) رواه مسلم.

(٤) رواه البخارى.

فإنه لا مجلس مع الله أنفع لك من مجلس توبخ فيه نفسك، ولا توبخها وأنت ضاحك فرح، بل وبخها وأنت مجد صادق مظهر للعبوسة حزين القلب منكسر ذليل. فإن فعلت ذلك أبدلك الله بالحزن فرحًا وبالذل عزًا، وبالظلمة نورًا، وبالحجاب كشفًا.. واعلم أنه إذا كان لك وكيل يحاسب نفسه ويحاققها فأنت لا تحاسبه لمحاسبة نفسه، فإن كان وكيلاً غير محاقق لنفسه فأنت تحاسبه وتحاققه، وتبالغ فى محاسبته، فكذلك أنت مع الله إن حاسبت نفسك يسر الله حسابك، فعلى هذا ينبغى لك أن يكون عملك كله لله تعالى ولا ترى أنك تفعل فعلاً والله تعالى لا يحاسبك ولا يحاقك عليه، وإذا وقع من العبد ذنب وقع معه فى القلب ظلمة.

فمثال المعصية كالنار والظلمة دخانها، كمن أوقد فى بيت سبعين سنة، ألا تراه يسود، كذلك القلب يسود بالمعصية، ولا يطهر إلا بالتوبة إلى الله تعالى.

فصار الذل، والظلمة، والحجاب مقارنة للمعصية، فإذا تبت إلى الله زالت آثار الذنوب.

واعلم أن التوبة هى أول المقامات، ولا يقبل ما بعدها من العبادات إلا بها.

ومثال العبد إذا فعل المعصية كالقدر الجديد يوقد تحتها النار ساعة فتسود، فإن بادرت إلى غسلها زال عنها هذا السواد، وإن تركتها وطبخت فيها مرة بعد مرة ثبت السواد فيها حتى تكسر، ولا يعيد غسلها شيئًا، قال رسول الله ﷺ: "إن المؤمن إذا أذنب ذنبًا كانت نكتة سوداء فى قلبه، فإن تاب وفزع واستغفر صقل منها، وإن زاد زادت حتى يغلف بها قلبه، فذلك الران الذى ذكره الله فى كتابه ﴿كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾"[1].

فالتوبة هى التى تغسل سواد القلب، فتبرز الأعمال وعليها رائحة القبول، فاطلب من الله التوبة دائمًا، فإن ظفرت بها فقد طاب وقتك؛ لأنها موهبة من الله تعالى يضعها حيث شاء من عباده. وقد يظفر بها العبد المشقق الأكعاب دون سيده. وقد تظفر به المرأة دون زوجها، والشاب دون الشيخ، والجاهل دون العالم.

---

(١) رواه الترمذى وصححه النسائى.

فإن ظفرت بها فقد أحبك الله تعالى، قال عز وجل في كتابه العزيز: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [1].

فالله سبحانه وتعالى لم يرض أن تكون محبًا بل محبوبًا. وأين المحبوب من المحب.

وإنما يغتبط بالشيء من يعرف قدره، ولو بددت الياقوت والجواهر بين الدواب، لكان الشعير أحب إليهم من ذلك كله، فانظر من أى الفريقين أنت.

إن تبت فأنت من المحبوبين، وإن لم تتب فأنت من الظالمين، قال تعالى: ﴿بِئْسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [2].

من تاب ظفر، ومن لم يتب خسر، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [3].

---

(1) من آية ٢٢٢ من سورة البقرة.

(2) من آية ١١ من سورة الحجرات.

(3) آية ٥٢ من سورة النور.

ولا تقطع رجاءك فى رحمة الله، وتقول فى نفسك: كم أتوب وأرجع، فالمريض يتناول الدواء، ويرجو الحياة ويؤمل الصحة، ما دامت فيه الروح، ولا يتطرق اليأس إلى نفسه. فإذا تاب العبد فرحت به داره من الجنة، وتفرح به السماء والأرض، ويفرح به النبى ﷺ، ويفرح به الله تعالى. قال رسول الله ﷺ: "لله أشد فرحًا بتوبة عبده حين يتوب إليه، من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه، فأيس منها، فأتى شجرة، فاضطجع فى ظلها، وقد أيس من راحلته، فبينما هو كذلك إذا هو بها قائمة عنده، فأخذ بخطامها، ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدى وأنا ربك، أخطأ من شدة الفرح"[1].

عن الشيخ أبى الحسن الشاذلى ـ رحمه الله ـ قال: قيل لى يا على طهر ثيابك من الدنس، تحفظ بمدد الله فى كل نفس، فقلت: وما ثيابى؟ فقيل لى: إن الله كساك حلة المعرفة، ثم حلة المحبة، ثم حلة التوحيد، ثم حلة الإيمان، ثم حلة الإسلام، فمن عرف الله صغر لديه كل شىء.

---

(١) متفق عليه.

ومن أحب الله هان عليه كل شيء. ومن وحد الله لم يشرك به شيئًا ومن آمن بالله أمن من كل شيء. ومن أسلم لله قلمًا يعصيه وإن عصاه اعتذر إليه. وإن اعتذر إليه قبل عذره. قال الشيخ: ففهمت من ذلك قوله تعالى: (وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ) [1]. يا هذا: إذا ثقلت عليك الطاعة والعبادة، ووجدت فيها مشقة، ولم تجد للطاعة حلاوة فى قلبك. وخفت عليك المعصية، ووجدت لها حلاوة. وأقبلت نفسك عليها وفرحت بها ومالت إليها، فاعلم أنك لم تصدق فى توبتك، وأن قلبك به مرض، ولم تصل إلى درجة المخلصين التائبين. فإنه لو صح الأصل لصح الفرع، والعكس بالعكس.

---

(١) آية ٤ من سورة المدثر.

التوبة فضل من الله

يا هذا: إن تفضل الله عليك بالتوبة، فتبت إليه فذلك من جوده وكرمه، قال تعالى: (ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) [1].

وإنك تذنب سبعين سنة فتتوب إليه فى نفس واحد، فيمحو ما عملته فى تلك المدة، قال رسول الله ﷺ: "التائب من الذنب كمن لا ذنب له" [2].

فالمؤمن كلما ذكر ذنبه حزن، وكلما ذكر طاعته فرح.

قال لقمان الحكيم: المؤمن له قلبان، يرجو بأحدهما ويخاف بالآخر، يرجو قبول عمله، ويخاف ألا يقبل منه. قال تعالى: (وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ) [3].

---

(١) آية ١١٨ من سورة التوبة.

(٢) رواه ابن ماجة والطبرانى.

(٣) آية ٦٠ من سورة المؤمنون.

وقيل لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا، ومن أراد أن يتصل قلبه بالله فعليه بالقيام بأوامر الله، والبعد عما حرمه تعالى، فاغسل قلبك أيها المؤمن بالندم على ما فاتك من الله ﷻ، فمن فعل المعاصى، وتقلب فى الحرام، لو انغمس فى سبعة أبحر لم تطهره، حتى يعقد مع الله التوبة الخالصة.

أيها العبد. أتظن أن الدواء حلو تأكله؟ إن لم تهجم عليه هجومًا لم يحصل لك الشفاء فاهجم على التوبة، ولا تقلبنك حلاوة المعصية، وإذا رأيت نفسك متطلعة إلى شهوة الفرج، أو المال، أو الجاه، أو السمعة، فاهرب إلى الله تعالى، والتجئ إليه، واستغث به، فإنه ينجيك منها، قال تعالى: (فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ) [1].

يا هذا: بدل أن تعترض على الناس، وتقول: أين أصحاب الخطوة؟ أين الأولياء؟ أين الرجال؟ طهر قلبك بالتوبة أولا. وقل: أين البصيرة؟ وهل يتأتى للقذر المتسخ أن يشاهد بنت السلطان فى خدرها؟

(١) آية ٥٠ من سورة الذاريات.

ويدل أن تقول: هذه المرآة صدأت، قل عينى بها مرض؛ لأنها لا تميز بين الخبيث والطيب.

وإذا قيل لك من المؤمن؟ فقل: هو الذى اطلع على عيوب نفسه، وأخذ فى علاجها، ولم ينسب أحدًا من العباد إلى عيب. وإذا قيل لك من المخذول؟ فقل: هو الذى ينسب العباد إلى العيب، ويبرئ نفسه منه، قال رسول الله ﷺ: "طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس".

فاطلب من الله التوبة النصوح، كما أمرك الله بذلك فى كتابه العزيز فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾ (1).

والتوبة النصوح هى الخالصة لله تعالى، الخالية من الشوائب، المصحوبة بالندم.

ولا يتسرب اليأس إلى قلبك وتستكثر ذنوبك على مغفرة ربك وتقول: إن ذنوبى قد كثرت وربما لا يقبل الله توبتى فإن الله

(1) من آية ٨ من سورة التحريم.

نهاك عن القنوط، وفتح لك باب الأمل، فقال تعالى: (قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) [1].

فداوم يا أخى على التوبة فإن قُبلت، وعرفت ذلك بانشراح صدرك لطاعة الله والإقبال على الآخرة، فافرح واحمد الله على فضله، وإن لم تقبل توبتك، بأن وجدت نفسك تتلذذ بالمعصية، وتفرح بها فاستغث بالله وقل: (رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ) [2].

وإياك أن تكون من الغافلين، الذين مضى على الواحد منهم أربعون سنة، ولم يقرع باب الله قط، ولم يرفع يديه خاضعًا ذليلا أمام ربه يطلب منه المغفرة، على ما فرط فى حق ربه ومولاه.

فيا أخى: تب إلى الله وارجع إليه بالإنابة والذكر، والندم والحسرة، فمن أدام قرع الباب يفتح له، ولولا الملاطفة ما قلنا لك

---

(١) آية ٥٣ من سورة الزمر.

(٢) من آية ٢٣ من سورة الأعراف.

ذلك؛ لأنه كما قالت رابعة العدوية رضى الله عنها: متى أغلق هذا الباب حتى يفتح.

ولكن يا هذا: اسلك الأبواب التى توصلك إلى القرب من الله تعالى، واغسل قلبك بالندم على ما فاتك من الله تعالى، عسى أن تكتب فى سجل التوابين. وتقرب إليك جنات النعيم، قال تعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [1].

---

(1) الآيات ٣١ ـ ٣٢ ـ ٣٣ ـ ٣٤ ـ ٣٥ ـ من سورة ق.

وقد قال العلماء: التوبة واجبة من كل ذنب، فإن كانت المعصية بين العبد وبين الله تعالى فلها ثلاثة شروط أحدها: أن يقلع عن المعصية، والثانى أن يندم على فعلها، والثالث أن يعزم على ألا يعود إليها أبدًا. وإذا فقد شرط لم تصح التوبة، وإذا كانت المعصية تتعلق بآدمى فشروط قبولها أربعة: هذه الثلاثة والرابع أن يبرأ من حق صاحبها، فإن كانت مالاً أو نحوه رده إليه. وإن كان حد قذف أو نحوه مكنه منه، أو طلب العفو منه، وإن كان غيبة استحله منها وإن كان هتك عرض، ستر على نفسه وطلب من الله المغفرة.

الطلب من الله

يا عبد الله إذا طلبت من الله تعالى فى ساعة القرب. فاطلب منه أن يصلحك من كل الوجوه. وقل: اللهم أصلح حالى كله. واطلب منه أن يصلحك بالرضى عنه فى تدبير ذلك، أى بالتسليم والرضا بقضائه وقدره، وتفويض أمرك إليه.

ثم إنك عبد شرود طلب منك أن ترجع إليه بالطاعة، ففررت منه بالمعصية، والفرار من الله يكون بالأفعال السيئة، والأحوال المخالفة، والهمم المنحرفة، والأفكار الخاطئة.

فإذا كنت فى صلاتك تسهو، وفى صومك تلغو، وفى لطف الله تشكو، وبالدنيا تفرح وتلهو، فأنت شارد هارب من ربك؛ لأن الشهوات صرفتك عن خشيته، كفاك من الشرود والأدبار أن تتطلع إلى زهرة هذه الحياة الدنيا. وأن تفتح عينيك عليها، وأن تكثر من التفكير فى شئونها وتنسى ما أمامك من أهوال الآخرة، قال تعالى: (وَلاَ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى)[1].

(١) آية ٣١ من سورة طه

والله تعالى قدر لك الصحة والمرض، والغنى والفقر، والفرح والحزن، حتى ترجع إليه وتعرفه بأوصافه. فتعرفه فى الرخاء بالشكر، وفى الشدة بالتسليم والصبر.

يا هذا: كم حصل لك من الهوان والذل وأنت واقف على أبواب المخلوقين تطلب منهم خدمتك، وترجو مساعدتك؟

وكم تألموا من طلبك، وعبسوا فى وجهك وأهانوك. وأنت لم ترجع إلى مولاك مرة، ولم تطلب منه حاجتك، ولم تقف على بابه خاشعًا متضرعًا، صادقًا فى دعائك، مخلصًا فى طلبك.

فيا عبد الله: إن أردت الكرامة والعزة، فاقطع أملك من الخلق، ووجه رجاءك إلى الملك الحق. وأظهر اضطرارك إليه، فهو الذى يجيب المضطر إذا دعاه، ويكشف السوء، ويفرح بسؤال عبده له، وقد هان كل الهوان من احتاج إلى الخلق. ولم يلتجئ إلى ربه ومولاه. كفاك جهلاً وعدم معرفة أن تتردد إلى مخلوق مثلك طمعًا فيما عنده وتترك باب الرزاق القوى المتين، أتطلب من الفقير وتترك الغنى؟ فإذا أردت ورود المواهب عليك فصحح فقرك وحاجتك إليه، وتجرد من حولك وقوتك.

وإذا أردت أن يكون لك نصيب مما لأولياء الله تعالى، وأن تعيش معززًا مكرمًا، فارفع حاجتك إلى مولاك، ووجه همتك إليه، واشتغل به دون ما سواه من الخلق.. قال تعالى: (وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ) (1).

عن ابن عباس ﷺ قال: كنت خلف النبي ﷺ يومًا فقال: يا غلام احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، وإذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء، لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك، لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، جفت الأقلام وطويت الصحف(2).

سمعت الشيخ أبا العباس المرسى يقول: والله ما رأيت العز إلا فى رفع الهمة عن الخلق، والتعفف عما فى أيديهم. واذكر رحمك الله دائمًا قول الله تعالى: (وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ) (3).

(1) من آية ٣ من سورة الطلاق.

(2) رواه الترمذى، وقال صحيح الإسناد.

(3) من الآية ٨ من سورة المنافقون.

فمن العز الذى أعز الله به المؤمن رفع همته إلى مولاه وثقته به دون ما سواه، والاستغناء به عن غيره.

فيا أخى: إن الله كساك حلة الإيمان، وزينك بزينة المعرفة. فاستحى منه ﷻ أن تستولى عليك الغفلة والنسيان حتى تميل إلى الأكوان، وتطلب من غيره وجود الإحسان. وقبيح بالمؤمن أن ينزل حاجته بغير مولاه مع علمه بوحدانيته، وانفراده بربوبيته وهو يسمع قوله تعالى: (أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ)[1].

قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ)، ومن العقود التى عاقدته عليه وعاهدته بها، ألا ترفع حوائجك إلا إليه، ولا تتوكل إلا عليه، قال تعالى: (وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ)[2].

وأفضل ما يطلب العبد من ربه أن يكون مستقيمًا معه، قال تعالى: (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ)[3]. فاطلب منه دائمًا الهداية والاستقامة، وهو أن تكون مع الله فى كل حال بالذى يرضاه

(١) من الآية ٣٦ من سورة الزمر.

(٢) من آية ١٦٠ من سورة آل عمران.

(٣) آية ٦ من سورة الفاتحة.

لك، وهو ما جاء به النبى ﷺ عن ربه ﷻ، قال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (1).

مثال السالك إلى الله المتقرب إليه بالعبادة، كمن يحفر على الماء فى جوف الأرض قليلاً قليلاً حتى يجد الثقب فينبع له الماء بعد الطلب، وطول الجهاد، ومثال المجذوب، كمن أراد الماء فأمطرت له سحابة من السماء، فأخذ منها ما يحتاج إليه من غير تعب وكد، فقد جذبه الله إليه.

عن الشيخ أبو الحسن الشاذلى رحمه الله أنه قال: بقيت مرة فى البادية ثلاثة أيام لم يصح لى شىء من الطعام، فجاز على بعض النصارى فرآنى متكئًا، فقالوا: هذا قسيس من المسلمين فوضعوا عند رأسى شيئًا من الطعام وانصرفوا، فقلت: ياللعجب كيف رزقت على أيدى الأعداء، ولم أرزق على أيدى الأحباب. فقيل لى: ليس الرجل الذى يرزق على أيدى الأحباء، إنما الرجل الذى يرزق على أيدى الأعداء.

(1) من آية ٧ من سورة الحشر.

التودد لله تعالى

يا عبد الله ما أكثر توددك للخلق وتقربك إليهم، وما أقل توددك للحق تعالى، ولو فتح لك باب التودد إلى الله تعالى لرأيت العجائب، ولظفرت برضوان الله، والتودد لله تعالى هو طاعته، ركعتان في جوف الليل تودد، قراءة القرآن تودد، عيادتك للمرضى تودد، صلاتك على الجنازة تودد، الصدقة على المساكين تودد، إعانتك لأخيك المسلم تودد، قيامك بمشروع خيرى تودد، نشرك العلم تودد، أماطتك الأذى عن الطريق تودد.

وكما أن السيف لا يستطيع القتال إلا بساعد قوى، كذلك العمل الصالح لا بد من مؤمن مخلص يقوم به ويؤديه، ولا عبادة تتودد بها إلى الله أسهل عليك من ذكر الله مخلصًا؛ لأن ذلك فى إمكان الشيخ الكبير، والمريض الطريح الذى لا يستطيع القيام والركوع والسجود، والعامل المشتغل بأعماله، والكسول المتمدد على فراشه، قال تعالى: (فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِكُمْ)[1].

---

(١) من آية ١٠٣ من سورة النساء

واعلم أن من بذل لله صرف الود سقاه الله صرف الكرم: (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ)، والعجب كل العجب من عبد يقبل على صحبة نفسه والتودد إليها، ولا يأتيه الشر إلا منها، ويترك صحبة الله، والتودد إليه ولا يأتيه الخير إلا منه، ومن أراد السير إلى الله شد العزم إليه. فإن قيل كيف الصحبة لله، فاعلم أن صحبة كل شيء على حسبه، فصحبة الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، والتوكل عليه فى جميع الشئون، وصحبة الملكين، أن يمليهما الحسنات، وصحبة الكتاب والسنة أن يعمل بهما، وصحبة السماء بالتفكر فيها، وصحبة الأرض بالاعتبار بما فيها، وليس من واجب الصحبة وجود الرؤية والمشاهدة.

فالمعنى فى صحبة الله صحبة أياديه ونعمه، فمن صحب النعم بالشكر، وصحب البلايا بالصبر، وصحب الأوامر بالتعظيم والامتثال، وصحب النواهى بالبعد والانزجار، وصحب الطاعة بالإخلاص فيها، وصحب القرآن بالتفكر، من فعل ذلك فقد صحب الله ﷻ، فإذا تمكنت الصحبة كانت خلة.

فيا أخى: لا تطلع عليك شمس يومك حتى تعامل الله معاملة الصديق المخلص، الوفى المحب، فتصدق كل يوم، ولو

بربع درهم حتى يكتبك الله فى ديوان المتصدقين، واتل من القرآن الكريم كل يوم ولو آية حتى يكتبك الله فى ديوان التالين، وصل بالليل ولو ركعتين حتى يكتبك الله مع القائمين.

وإياك أن تغلط وتقول: من عنده قوت يوم بيوم كيف يتصدق. قال تعالى: (لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا) [1]. ومثال المسكين إذا تصدق عليه كالدابة تحمل زادك للآخرة، فحمل المساكين ما شئت لتجده أمامك يوم القيامة.

يرسل لك المولى الصنائع والخيرات، وأنت عبد شرود، لا تشعر ولا تشكر، فمثالك كالطفل فى المهد كلما حرك نام، وأنت كلما زاد الخير زدت فى الإعراض، ولو أرسل لك الملك خلعة ما أصبحت إلا على بابه لشكره والثناء عليك، فعليك بالحوالة إلى مولاك المنعم، واترك من لا يستطيع أن ينفع غيره.

---

(١) آية ٧ من سورة الطلاق.

الإخلاص

من أراد النهايات فعليه بتصحيح البدايات، ومن أراد الجنة فعليه بالإخلاص فى العمل، ومن صدق مع الله كفاه الله مضرة الأعداء وحفظه من السوء، وحمل عند مئونة الأرداء، وأعانه على حياته، وهداه إلى الطيب من الأعمال، قال تعالى: (وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ) [1].

ولا تحسدن يا أخى إلا عبدًا قد لف فى ملابس التقوى، وذواق لذة الإخلاص، هذا هو العيش الرغد، وما أطيب عيش المحب مع الحبيب، إذا لم يطلع عليه رقيب، فإن أحب أن يطلع عليه رقيب فما صدق فى حبه، وكل من أراد أن يعلم أحد من الخلق بحاله فقد خدع، فعن شداد بن أوس ﷺ أنه سمع النبى ﷺ يقول: "من صام يرائى فقد أشرك، ومن صلى يرائى فقد أشرك، ومن تصدق يرائى فقد أشرك"[2].

(١) آية ١٧ من سورة محمد.

(٢) رواه البيهقى.

ولكن ما أهون العبادة التى فيها هـوى نفسـك عليـك، ومـا أثقل العبادة التى ليس فيها هوى نفسك.

ما أشق العبادة التى لم يطلع عليها الناس، وما أخف العبـادة التى يراها الناس ويمدحونك عليها، وتسمع منهم الثناء الجميل.

مثال ذلك أن تحج تنفلاً بعد الفـرض عشـر مـرات لا يثقـل عليك، فإن قيل لك تصـدق بـأجر حجـة علـى الفقـراء أو لبنـاء مسجد، بخلت وشق ذلك عليـك؛ لأن أمـر الحـج يـرى ويشـتهر فللنفس فيه حظ، وتكسب من ورائه شهرة، أما الصدقة فهى سـر يطوى ويخفى لا يعرفه أحد، ولا فخر فيه ولا رياء.

وكذلك دراستك العلم لغير وجه الله، فإنـك تـدرس الليـل كله، ونفسك راضية بذلك، فـإن قيـل لـك صـل بالليـل ركعـتين نافلة، شق ذلك عليك؛ لأن الركعتين بينـك وبـين الله لـيس فيهـا للنفس حظ، أما القـراءة والـدرس فللـنفس فيهـا حـظ مشـاركة الناس والافتخار بـالعلم أمـامهم، فلأجـل ذلـك خفـت عليهـا، وذلك هو الخسران المبين.

عن محمود بن لبيد ﷺأن رسول الله ﷺ قال: "إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر". قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال: "الرياء".

يقول الله ﷻ إذا جزى الناس بأعمالهم: "اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون فى الدنيا، فانظروا هل تجدون عندهم جزاء"[1].

فيا أخي: اعمل الأعمال الصالحات بينك وبين الله سرًا، ولا تطلع عليها أحدًا، واجعلها خالصة لوجه الله تعالى تجدها يوم القيامة فى كفة حسناتك، قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا﴾[2].

وإياك والفخر وحب الظهور، فإن النفس لها لذة وتمتع بذكر العمل والتباهى به، ولا تحبط عملك بعد أن تعبت فى أدائه، ولا تنفق أنفاسك فى غير طاعة الله تعالى، قال رسول الله ﷺ: "من لبس ثوب شهرة ألبسه الله ثوب ذلة يوم القيامة"[3].

(١) رواه أحمد.

(٢) من آية ٣٠ من آل عمران.

(٣) رواه أحمد، وأبو داود وابن ماجة بسند حسن عن ابن عمر به مرفوعًا.

ولا تنظر إلى صغير النفس، وضعيف الهمة، بل انظر إلى مقداره وإلى ما يعطى الله العبد من الأجر والثواب على العمل، والأنفاس جواهر غالية لاتنفق إلا فى خير العمل، وهل رأيت أحدًا يرمى جوهرة على مزبلة، ولماذا تجتهد فى إصلاح ظاهرك، وتترك فساد باطنك، مثالك كالمريض بالجذام، وقد لبس ثيابًا جديدة من الحرير، وتفوح من باطنه رائحة القيح والصديد، فإذا رأيت ظاهرة اغتررت فيه، وإذا كشفت عن باطنه تقذرت منه. فأنت تصلح ما ينظر إليه الناس، ولا تصلح قلبك الذى هو لربك، قال تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ (١).

يا من لا يأكل الحنطة إلا مغربلة نقية لا بد لك أن تغربل عملك من الرياء، وتنقيه من حب الشهرة، فلا يبقى لك إلا ما أخلصت فيه، وما عدا ذلك يرمى(٢)، فعليك يا أخى، بحسن

(١) من آية ١١٠ من سورة الكهف.

(٢) عن أبى هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: قال الله ﷻ: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، فمن عمل لى عملاً أشرك فيه غيرى، فأنا منه برىء وهو للذى أشركْ رواه ابن ماجة.

العمل لا بكثرته، فإن كثرة العمل مع عدم الإتقان والإخلاص فيه، كالثياب الكثيرة الوضيعة الثمن، وقلة العمل مع حسنه وكماله، كالثياب القليلة الغالية الثمن؛ ولأن تلبس ثوبًا واحدًا غاليًا خير لك من أن تلبس عشرة أثواب صغيرة رخيصة.

والعمل الخالص كالياقوته، صغير حجمها كثير ثمنها، فمن اشتغل قلبه بالله تعالى وعالجه، بما يطرأ عليه من الهوى والفتنة، كان أفضل ممن يكثر من الصلاة والصوم وقلبه مريض بالفاسد، مشحون بحب الشهوات، ونيل الملذات.

وقد قيل: همة الزاهدين فى كثرة الأعمال، وهمة العارفين فى تصحيح الأحوال، وصرف القلب عن غير مولاه.

حلاوة الطاعة

يا من عاش وما عاش، تخرج من الدنيا وما ذقت ألذ شيء فيها، وهى مناجاة الحق سبحانه، ومخاطبته لك، ونزول الرحمات عليك، فأنت تقضى الليالى نائمًا على فراشك ملقى عليها كالجيفة، لا تفكر فى عبادته وعظمته، ولا تغذى قلبك بتلاوة كلامه، ولا تسعد روحك بالخلوة معه. فإذا حرمت يا أخى من قيام الليل والتهجد فيه، وصرفت عنه بمشاغل الحياة، فاستغث بالله، وقل يا رب العزة، يا رسول الله فاتتنى الغنيمة التى نالها السعداء، من لذة المناجاة، ووداد المصافاة، وحلاوة الطاعة، وسعادة الأنس بذكر الله، واطمئنان القلب به، قال تعالى: (الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ)[1]. فإياك يا أخى أن تخرج من هذه الدار وما ذقت حلاوة حبه ﷻ، ولا تلذذت بطاعته، وليست حلاوة حبه فى المآكل والمشارب؛ لأنه يشاركك فيها الكافر والدابة، بل حلاوة حبه تجدها فى خدمته وطاعته، وامتثال أوامره، والوقوف عند حدوده،

---

(١) آية ٢٨ من سورة الرعد.

والتضحية بالنفس والمال، والولد فى سبيل نصرة دينه، والدفاع عن شريعته، والمداومة على ذكره، حتى تشارك الملائكة الأطهار فى خدمته وطاعته، وجمع قلبك عليه تعالى.

واعلم أن الأرواح الطاهرة كالثياب البيضاء النقية يدنسها رشاش النفوس، فإذا انغمست فى جيفة الدنيا ومحرماتها وسيئاتها لاتصلح للمحاضرة، ولا تذق حلاوة الحب الربانى لأن حضرة الله تعالى لا يدخلها المتلطخون بنجاسة المعصية.

فطهر قلبك من العيب يفتح لك باب الغيب، ليتك يا أخى تطع مولاك وتنفذ أوامره كما يطيعك عبدك وينفذ أوامرك، فإنك تحبه مطيعًا لك، ناهضًا فى خدمتك، مداومًا عليها، لا يخالف لك أمرًا، وأنت مع ربك على عكس ذلك، تتثقل الطاعة، وتنفر من العبادة وتقصر فى الخدمة، وتحب أن تفرغ منها مسرعًا، كأنك تنقر بالمناقير. فياليت ذلك البصر الذى نظرت به إلى محاسن الغير، ولم تبصر به عيوب نفسك عوضت عنه العمى، قال تعالى: (فَأَمَّا مَنْ طَغَى وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِىَ الْمَأْوَى) [1].

---

(١) آيات ٣٧ ـ ٣٨ ـ ٣٩ من سورة النازعات.

واعلم أنه من لطف الله بك أن يكشف لك عن عيوب نفسك، فتعرفها وتتجنبها وتحجبها عن الناس، فلا يعرفونها، حتى لا يفضحك بأعمالك أمام خلقه. وإذا أحبك مولاك أعرض عنك أصحابك، حتى لا تنشغل بهم عنه، وقطع علائقك بالمخلوقين حتى ترجع إليه، وتقبل بكل مشاعرك وقلبك عليه، كم تطلب نفسك للطاعة، وهى مستهترة متثاقلة؛ لأنها لم تشغف بها، وإنما تحتاج إلى معالجة نفسك فى الابتداء، فإذا ذاقت المنة جاءت اختيارًا، فالحلاوة التى كنت تجدها فى المعصية ترجع تجدها فى الطاعة، قال تعالى: (وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ) [1].

وإذا ضعفت يا أخى عن العبادة فرقع عبادتك بالخوف، والتضرع، والبكاء، والتذلل لله تعالى فى صلاتك، فإن من علم قرب رحيله من الدنيا، أسرع فى تحصيل الزاد، ومن علم أن إحسان غيره لا ينفعه، جد فى عمل الإحسان لنفسه، ومن أنفق

(١) من آية ٧ من سورة الحجرات.

ولم يحسب، خسر ولم يدر، والأعمار هى رأس المال، والأعضاء التى يبست عن الطاعة ليس لها إلا القطع، كالشجرة إذا يبست لا تصلح إلا للنار، ولو كنت كيسًا فطنًا لكانت حقوق الله عندك أهم من حظوظ نفسك ومطالبها، قال رسول الله ﷺ: "ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود فى الكفر كما يكره أن يقذف فى النار"[1]. واعلم إن كانت معك عناية من الله ينفعك القليل من الطاعة، وإن لم تكن معك عناية منه لم ينفعك الكثير، ولو كشف عنك الحجاب، لرأيت كل شىء ناطقًا مسبحًا لله تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَىْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾[2]. ولكن النقص فيك والحجاب منك فلا تلومن إلا نفسك.

---

(١) رواه الإمام البخارى عن أنس رضى الله عنه.

(٢) آية ٤٤ من سورة الإسراء.

نعم الله على عباده

يا عبد الله كم لله عليك من نعمة، وكم له عليك من أياد أكثر من أمك الحنون، فإن الأم تأخذك وأنت صغير، وتلبسك أحسن الملابس، فإن وسختها تخلع عليك ثيابًا أخرى غيرها نظيفة، وتغسل ثيابك القذرة وتهتم بطعامك وشرابك، وراحتك ومنامك، ولا تدرى ما تفعله معك، وأنت تأتى إلى مملكة الدنيا فتجدها قد زينها الله لك بكل ما تحتاج إليه، وهيأ لك كل سبل الراحة، قال تعالى: (وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِى السَّمَاوَاتِ وَمَا فِى الأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِى ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) [1]، وقال تعالى: (وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ) [2]. ما مثالك فى صغر عقلك، وكونك لا تعلم ما عليك من الملابس وما أسبغ عليك من نعم ظاهرة وباطنة، إلا كالمولود تكسوه أمه أفخر الملابس وأجملها، وهو لا يشعر بها، ولا يعرف قيمتها وربما دنسها ومزقها، فتسرع إليه أمه وتكسوه حلة أخرى حتى لا يراه الناس

(١) من آية ١٣ من سورة الجاثية.

(٢) من آية ٥٣ من سورة النحل.

معيبًا، وتغسل ما اتسخ وتخيط ما تمزق، وهو لا يعلم ما فعل به لصغر عقله.

وأنت يا عبد الله قد كساك الله حلة المعرفة، وحلة التوحيد، ثم حلة المحبة، ثم حلة الإيمان، ثم حلة الإسلام، ثم حلة الكرامة، وسخر لك العوالم كلها، لتقدسه وتشكره وتعبده، قال تعالى: (وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ) (١).

فيجب عليك أن تحافظ على هذه الحلل، ولا تدنسها بالمعاصى ولا تمزقها بالوقوع فى الخطايا، وحافظ عليها بشكره وطاعته وحمده، قال تعالى: (وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ) (٢).

واعلم أن من طهر ثيابه من الدنس، تحفظ بمد الله فى كل نفس، وليس فى الأرض موضع شبر إلا وهو يصلح للسجود عليه، ولكنك تدنسه بالخطيئة، ويتجلى عليك بالمحاسن فتجعل

(١) آية ٣٤ من سورة إبراهيم.

(٢) آية ٧ من سورة إبراهيم.

فيها ما يكدرها من المعصية، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ﴾ [1].

فانظر يا هذا ماذا عملت؟ وماذا عمل الله معك؟ من أول نشأتك إلى ساعة وقتك، تجد أنه ما صنع معك إلا جودًا وإحسانًا، وبرًا وإكرامًا، وعفوًا وغفرانًا. ولكن انظر ماذا صنعت أنت معه، فلا ترى إلا جفاء وعصيانًا، وقطيعة وكفرانًا، وجحودًا ونكرانًا.

ليس الشأن فيمن يرفق بك إذا وافقته، بل الشأن فيمن يرفق بك إذا خالفته، ولقد كان بعض العارفين ينكس رأسه إذا شرب الماء البارد حياء من الله، وربما تقطر عيناه بالدمع اعترافًا بنعم الله عليه، وشعورًا بتقصيره فى الشكر عليها، ويقول فى نفسه: هذا تودد من الله لعبده[2].

(١) آية ٢٨ ـ ٢٩ من سورة إبراهيم.

(٢) ورد فى بعض الآثار يقول الله ﷻ: "ابن آدم خيرى إليك نازل، وشرك إلى صاعد، أتحبب إليك بالنعم، وتتبغض إلى بالمعاصى، ولا يزال ملك كريم قد عرج إلى منك بعمل قبيح".

الفرق بين أهل السعادة وأهل الشقاوة

شتان بين أهل السعادة، وأهل الشقاوة، وفرق كبير بين الفريقين قال تعالى: (لا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ) [1]. ويظهر ذلك فى حديث واحد منهما. فأهل السعادة إذا رأوا إنسانًا على معصية، أنكروا عليه فى الظاهر، ونهوه عن المنكر خفية، ودعوا له فى الباطن وسألوا الله أن يتوب عليه وأن يغفر له، وأن يوفقه لطاعته، عطفًا منهم وشفقة عليه، كأنه مصاب يستحق الرحمة.

وأما أهل الشقاوة، فإنهم ينكرون على المذنب فى الظاهر، تشفيًا منه، ورغبة فى فضيحته، وربما ثلموا عليه عرضه، وطعنوه فى شرفه وكرامته، ولعنوه بقلوبهم، فالمؤمن من كان ناصحًا لأخيه فى الخلوة بعيدًا عن الناس، ويستر عليه فى الجلوة أمام الناس، ويأخذ بيده إلى طريق الهداية والرشاد.

ولكن أهل الشقاوة على عكس ذلك، فإذا رأوا إنسانًا على معصية، تركوه وأغلقوا عليه الباب. وشهروا به وفضحوه بها.

---

(١) آية ٢٠ من سورة الحشر.

فهؤلاء لم تنور بصائرهم، ولم تطهر ضمائرهم، وهم عند الله مبغضون، ومن رحمته مبعدون. قال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ) [1]. وقال رسول الله ﷺ: "من عير أخاه بذنب لم يمت حتى يعمله" [2].

فيا أخي: إذا أردت أن تختبر عقل الرجل، وتعرف سريرته، فاذكر له سيرة إنسان غائب عنك، ثم انظر إليه، فإن وجدته يطوف على محمل السوء، ويذكر المساوئ والعيوب، وينكر المحاسن حتى يقول لك: خلنا منه، ودعنا من سيرته؛ لأنه كذا وكذا وأخذ ينهش عرضه، ويأكل لحمه، ويذمه ويغتابه، فإذا سمعت منه ذلك، فاعرف أن باطنه خراب، وأن ضميره غير سليم، وليس له معرفة بالله تعالى، ولم يصل إلى درجة الفضلاء، وأهل الفقه الطاهرين. أما إذا سمعته يذكر الغائب بالخير، ويسمي لك محاسنه، ويرفعه في عينك، أو يذكر لك ما يوصف

(١) آية ١٩ من سورة النور.

(٢) روا ه الترمذي والطبراني وغيرهما عن معاذ رضي الله عنه.

بالذم، ولكنه يعتذر له، ويحمله على محمل حسن، ويقول: لعله سها، أو لعل له عذرًا لا نعرفه، أو ما أشبه ذلك، يحاول أن يستر عليه، وأن يدافع عنه ليحمى عرضه[1]. إذا سمعت منه ذلك فى جميع مجالسه، وفى غالب أحاديثه، ومع أكثر الناس.. فاعلم أنه من أهل السعادة، وأن باطنه معمور، وأن سريرته نقية، وقلبه طاهر، وأن له علما ومعرفة، وعنده فقه وحكمة.

فإن المسلم يحرص على سلامة عرض أخيه المسلم، قال رسول الله ﷺ: "ومن ستر على مسلم ستر الله عليه فى الدنيا والآخرة، والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه" .[2]

أهل الشقاوة هم الذين يظلمون الناس، ويأكلون حقوقهم، وينهشون أعراضهم، وأهل السعادة هم أهل العفاف والقناعة، يبتعدون عن ظلم العباد، ويتمسكون بالحق وينصرونه، ويحافظون على أسرار العباد، ويكتمون عيوبهم، ويظهرون محاسنهم.

---

(١) قال عن أبى الدرداء ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "من رد عن عرض أخيه، رد الله عن وجهه النار يوم القيامة" أخرجه الترمذى.

(٢) رواه مسلم.

فيا أخى: إن أمكنك أن تصبح وتمسى، وما ظلمت أحدًا من العباد فأنت من أهل السعادة. وإذا لم تظلم نفسك فيما بينك وبين الله، ولم تخالف أمره. فقد كملت لك السعادة من جميع وجوهها، فأغمض عينيك، وسد أذنيك، وداوم على هذه الحال.

وحافظ على هذه السعادة الكبرى، حتى تلقى الله على الإيمان، وإياك إياك وظلم العباد، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة.

أهل السعادة هم أهل الفهم والمعرفة، الذين أخذوا عن الله من كتابه، وتوكلوا عليه، وعاشوا بمعونته لهم، فكفاهم ما أهمهم وصرف عنهم ما أغمهم، واشتغلوا بما أمرهم عما ضمن لهم، علمًا منهم بأنه سبحانه لا يكلهم إلى غيره، ولا يمنعهم من فضله، فدخلوا فى ساحة الراحة، ووقفوا فى جنة التسليم، ولذاذة التفويض، فرفع الله بذلك مقدارهم، وأكمل أنوارهم، وأتم عليهم نعمه وأسبغ عليهم فضله وجوده وكرمه، قال تعالى: (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)[1]. فالسعيد من

(١) آية ٩٦ من سورة النحل.

عمل للدار الآخرة، وفهم أوامر ربه ونواهيه، وعمل بما فهم، وفرح بما يبقى أكثر من فرحه بما يفنى من حطام هذه الحياة، قال تعالى: (قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ) [1].

السعيد: من أشرق نور قلبه، وعشق طاعة ربه، فصد عن هذه الدار موليًا، وأعرض عنها مفضيًا، بل أنهض الهمة فيها إلى الله، وأقبل على خدمة مولاه، وسار إليه مستعينًا به فى القدوم عليه بعد الموت، وأخذ من دنياه لآخرته، ومن حياته لموته، قال تعالى: (وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا) [2]. وقوله تعالى: (وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ) [3]. أى غير مقطوع.

---

(١) آية ٥٨ من سورة يونس.

(٢) آية ٩ من سورة الإسراء.

(٣) آية ١٠٨ من سورة هود.

آثار المعاصي

اعلم أن المعصية تتضمن نقض العهد، وتحليل عقد الود، والإيثار على المولى عز وجل، والطاعة للهوى، وخلع جلباب الحياء، والمبادرة لله بما لا يرضى. مع ما فى ذلك من الآثار الظاهرة، من ظهور الكدورة فى الأعضاء، والجمود فى العين، والغلظة فى القلب، والغفلة عن العبادة، والكسل فى خدمة المولى، وترك الحفظ لحرمات الله تعالى، وظهور كسب الشهوات وذهاب بهجة الطاعات.

وأما الآثار الباطنة، فكالغشاوة فى القلب، ومعاندة النفس، وانشراح الصدر بالشهوات، وفقدان حلاوة الطاعات، وترادف المشاغل المانعة من بروق شوارد الأنوار. واستيلاء دولة الهوى، إلى غير ذلك من حلول الارتياب. ونسيان المرجع والمآب، والغفلة عن طول الحساب، وشدة العذاب يوم القيامة.

ولو لم يكن فى المعصية إلا تبدل الاسم لكان ذلك كافيًا للعاصى وزاجرًا له، فإنك إذا كنت طائعًا تسمى بالمحسن، وإذا كنت عاصيًا انتقل اسمك إلى المسىء المعرض. هذا فى انتقال

الاسم فكيف بانتقال الأثر، من تبدل حلاوة الطاعة بحلاوة المعصية، ولذاذة الخدمة بلذاذة الشهوة، هذا فى تبدل الأثر.

فكيف يتبدل الوصف؟ فبعد أن كنت موصوفًا عند الله بمحاسن الصفات، يعكس الأمر، فتتصف بمساوئ الحالات.

هذا فى تبدل الوصف، فكيف بتبدل المرتبة؟ فبعد أن كنت عند الله من الصالحين، صرت عنده من المفسدين، وبعد أن كنت عنده من المتقين، صرت عنده من الفاسقين.

فإذا كانت الذنوب متفتحة فى وجهك، وسهلة فى متناول يدك فاستغث بالله الذى لا إله إلا هو، والجأ إليه، واسكب دموع الندم، واشرب كئوس الحسرة، واحث التراب على رأسك، وارفع صوتك بالبكاء على حبيبك، وتضرع إلى الله تعالى فى جوف الليل، وقل: اللهم انقلنى من ذل المعصية إلى عز الطاعة.

وامكث فى مجالس العلماء والصالحين، وزر مقابر الموتى، وأكثر من تلاوة القرآن الكريم، وتصدق على الفقراء والمساكين، وأكثر من قولك: اللهم ارحمنى يا أرحم الراحمين، ومثال الإيمان معك إذا عصيت الله تعالى كالشمس المكسوفة، أو كالسراج المنير إذا غطيته بغلاف أسود، فضوؤه موجود، ولكن يمنع نوره الغطاء،

فكذلك الإيمان موجود فى القلب، ولكن غطته غشاوة المعاصى والذنوب، قال تعالى: ﴿كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (١).

وقال عز وجل: ﴿بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (٢).

(١) آية ١٤ من سورة المطففين.

(٢) آية ٨١ من سورة البقرة.

مثال العاصى

ومثال العاصى، كالجعل ـ الجعران ـ يعيش فى الروث والعذرة، وإذا قرب إليه الورد مات من رائحته، فمن الناس من هو جعلى الهمة، فراشى العقل، فإن الفراش لا يزال يرمى بنفسه فى النار حتى تحرقه، فكذلك أنت ترمى نفسك فى نار المعصية عمدًا حتى تحرق أعمالك، وقد نهانا الله ﷻعن ذلك فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (1).

يا هذا: إنما تأكل لتعيش، وتعيش لتأكل، فإذا كان هذا همك فى الحياة، ومقصدك منها، فمثالك على المعالف كثير، ومثلك فى الدواب أكثر؛ لأنها تعيش فى الحياة لتأكل وتعمل، وتستريح، وتنام، فواحسرتاه على ضياع الأجل!! واعلم أن أسبق الخيل ما ضمر، تقول: هذه الليلة أقلل الأكل، ليخف جسمى للعبادة، فإذا

(1) آية ٦ من سورة التحريم.

حضر الطعام نزلت عليه كأنه حبيب مفارق، حتى تصاب بالتخمة.

ومن لم يرد الله صلاحه تعبت فيه الأقاويل

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ (1).

ما أقربك من الهوان، وما أوقفك فيه، وكم تهين نفسك وتلقيها فى مواطن التهلكة، وتوقفها فى مزالق الردى بالمعصية، والوقوع فى الخطيئة.

يا عبد الله: ما أكثر محافظتك على بدنك وخوفك عليه؟ وما أرخص دينك عليك. لو قيل لك إن هذا الطعام مسموم لامتنعت عنه مهما كان لذيذًا، ولو أقسموا لك بعد ذلك بأغلظ الأيمان أنه ليس بمسموم لما اقتربت منه، ولا صدقتهم، بل لو غسل الوعاء الذى كان فيه السم مرارًا، وقرب إليك لنفرت منه نفسك وفزع منه قلبك، وأعرضت عن تناول الطعام منه، فلم لا يكون حالك

(1) من آية 41 من سورة المائدة.

كذلك فى دينك، وتحافظ عليه مثل بدنك، وتجنبه من سموم المعاصى والسيئات؟

من خان الله فى أوامره، هان مقامه عند ربه، فقيمة اليد خمسمائة دينار فى حكم الشرع بالدية، يحكم بقطعها فى ربع دينار إذا خانت وسرقت ومن تجرأ على صغيرة وقع فى كبيرة، كالسارق إذا تعود السرقة، فمن تهاون فى فعل الصغائر جره ذلك إلى الوقوع فى الكبائر. والعياذ بالله.

قال تعالى: (وَلا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ)[1]. أى سرها وعلانيتها، واعلم أن المعاصى تدنس دين المؤمن وتضعفه، وانتقص من قدره، قال رسول الله ﷺ: "جددوا إيمانكم، قيل يا رسول الله، وكيف نجدد إيماننا؟ قال: أكثروا من قول:لا إله إلا الله"[2].

فدل هذا الحديث على أن المؤمن إذا غفل عن ذكر الله، وانغمس فى المعصية وقع غبار المعصية على إيمانه، ولطخه بدنس

(١) من آية ١٥١ من سورة الأنعام.

(٢) رواه أحمد الطبراني.

المخالفة، وأضعفه بارتكاب الخطيئة، وما كل وسخ يطهره الماء، بل رب قذر لا يطهره إلا النار، كالذهب إذا كان فيه غش لا يخلصه إلا النار، فكذلك العصاة من هذه الأمة، لا يصلحون لدخول الجنة - إذا ماتوا من غير توبة - حتى تطهرهم نار جهنم.

ولو علم العبد أثر الذنب، وما يترتب عليه دنيا وأخرى، وغيبًا وشهادة، لاستحيا من ربه أعظم الحياء، ولهرب من المعصية كما يهرب من عدوى الأمراض الخبيثة، ولو اعتقد أنه فى قبضة ربه لما قابله بالمعصية، ولكنها الغفلة وعمى البصيرة، فمن عرف حقيقة الإيمان، لا يقارب العصيان.

عن الشيخ مكين الدين الأسمر: كان عنده شيخ عمره نحو التسعين، فقال: يا سيدى أشكو إليك كثرة الذنوب، فقال له الشيخ مكين: هذا شىء لا نعرفه، وما أتذكر أنى عملت ذنبًا قط.

قيمة العبد عند الله

واعلم أيها العبد أنه لا تزال لك قيمة عند الله تعالى حتى تعصى، فإذا عصيته، فلا قيمة لك عنده، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ [1].

لو اختارك الله تعالى خادمًا لربوبيته، ما قطعك عنه بالمعصية؛ لأن الطاعة صلة، والمعصية قطيعة. ولو كنت ذا قيمة عند الله ما رماك لغيره. أرأيت الثمرة تحافظ عليها فى جيبك، فإذا أكلتها ألقيت النواة فى الطريق، ولا تبالى فى أى مكان وقعت، فحافظت على الثمرة لقيمتها، وتركت النواة لحقارتها، فكذلك العاصى لا قيمة له عند الله، أما العبد الطائع فيحفظه ربه ويرعاه، قال تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلاً﴾ [2].

ولا تكون معصية إلا ويكون الذل معها، أفتعصيه ويعزك: كلا.. فقد ربط العز مع الطاعة، والذل مع المعصية، فصارت

---

(١) من آية ١٨ من سورة الحج.

(٢) من آية ٨٥ من سورة الإسراء.

طاعته نورًا وعزًا وسعادة، وكشف حجاب، وهداية. قال تعالى: (وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ) [1].

وصارت المعصية ضدها، ظلمة، وذلاً، وشقاوة، وضلالاً، وحجابًا بينك وبين الله، وما منعك من مشاهدة هذه الأشياء، ومعرفتها إلا عدم وقوفك عند حدود الله، واشتغالك عنه بهذا الوجود، وإعراضك عن طاعته، واستكبارك على خدمته، واستهتارك بشرعه، قال تعالى: (وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى) [2].

ولو أردت السير إلى الله، لشددت العزم إليه، ولكن أين الهمة، وقد قيدتك المعاصي، وأحاطت بك الذنوب من كل جانب؟

---

(١) آية ١٧ من سورة محمد.

(٢) آية ١٢٤ من سورة طه.

أضر شيء على المؤمن

واعلم يا أخى أن أخوف ما يخاف عليك منه، إنما هو ضرر محقرات الذنوب، والتهاون بالصغائر منها، وعدم الإسراع إلى التوبة بعد وقوعها.

لأن الكبائر ربما استعظمتها فخفت من عذابها، فهجرتها، وهربت منها، وبادرت إلى التوبة عقب وقوعها.

وربما احتقرت الصغائر فى نظرك، واستهنت بها، ولم تتب منها استخفافًا بشأنها، ولم تحاول الإقلاع عنها، وتعودت عليها.

وهذا هو أخطر شيء على دين المؤمن ؛ لأنه يقول: ماذا فعلت؟ لم أقتل، ولم أزن، ولم أشرب الخمر، وما عملته أمر تافه لا قيمة له.

فمثالك: كمن هجم عليه أسد مفترس فخلصه الله منه. فوجد بعده خمسين ذئبًا فغلبوه، أو وقع تحت ألف نحلة فقتلوه. قال تعالى: ﴿وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ [1].

---

(١) من آية ١٥ من سورة النور.

والكبيرة صغيرة فى كرم الله، والصغيرة إذا أصررت عليها صارت كبيرة، فإن السم يقتل مع صغره وقلته، والصغيرة مع الدوام، والإصرار، كالشرارة من النار، والشرارة إذا تهاون الناس بها تحرق مدينة كاملة، وإذا بادروا إليها واهتموا بها أطفئت بكوب ماء.

وقيل فى الأمثال: "معظم النار من مستصغر الشرر".

إذا أردت أيها العبد أن تعصى الله تعالى فاطلب مكانًا لا يراك فيه ربك، واطلب قوة من غيره تعصيه بها، ولن تستطيع شيئًا من ذلك؛ لأن الكل من نعمه. والكل فى ملكه: (مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى) [1]. عجبًا لك يا عبد الله: أتأخذ نعمه وتعصيه بها، وتسكن فى ملكه وتخالف أمره؟ بل تتفنن فى المخالفات. مرة بالغيبة، ومرة بالنميمة، ومرة بالنظر إلى المحرم، ومرة بتناول الحرام، وهكذا، وما تبنيه من الطاعات فى سبعين سنة، تهدمه فى لحظة واحدة، يا هادم الطاعات، ويا مضيع الحسنات. ويا مفسد الخيرات، ويا من

(١) آية ٦ من سورة طه.

يغرق نفسه فى الشهوات، ويحرقها بنار المعاصى.. ليتك أعطيتها ذلك فى المباحات، وحييتها فى عمل الصالحات، فمن عاملته بالدنايا، وعاملك باللطف والمنن كيف لا تحبه؟ من عاملته باللؤم، وعاملك بالجود والكرم، كيف لا تطيعه؟ من جاهرته بالعداوة والقطيعة، فعاملك بالعفو والحلم كيف لا ترجع إليه؟.

واعلم يا هذا أنه ما سلط عليك الفاقة وفقر المال إلا لترفع حاجتك إليه، وما ابتلاك بالمصائب إلا لتجمع قلبك عليه، وتكثر من ذكره ودعائه، ومناجاته.

فكن يا أخى مع الله كالطفل مع أمه إذا ضربته أو أهانته رجع إليها، وإذا أصابه سوء أو نزل به مكروه ارتمى عليها لا يعرف غيرها، ولا يلجأ إلى قوة سواها. قال تعالى: (وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا) [1].

(١) من آية ٣ من سورة الطلاق.

من يكثر الذنوب والاستغفار

واعلم أنك إذا أردت النجاة فى هذه الحياة، فلا بد لك أن تجتنب الذنوب ما ظهر منها وما خفى، وإياك أن تستغفر من الذنب، ثم تعود إليه وتصر عليه، فإن مثال من يكثر الذنوب والاستغفار، كمثل من يكثر شرب السموم، ويكثر استعمال الترياق ـ الدواء ـ فيقال له: ربما لا تصل إلى الترياق مرة، فيأتيك الموت قبل الوصول إلى الدواء. أنت ربما يأتيك الأجل بعد الذنب، وقبل التوبة، فتموت عاصيًا مذنبًا، وهذا خطر عظيم.. ومن لم يترك المحرمات لم ينفعه القيام بالواجبات، كالمريض إذا لم يترك الطعام، ويحتمى منه، لم ينفعه تناول الدواء.

وكالذى يريد أن يطهر ثوبه وهو ملقى فى النجاسة، فلا يستطيع أن يطهره، أما إذا أبعد الثوب عن النجاسة وحفظه منها، فإنه يمكنه أن يطهره بيسر وسهولة، مثال الذنب عند أرباب البصائر، وأهل الورع كجيفة أدخلت الكلاب خراطيمها فيها أرأيت إلى غمس رجل فمه فى جيفه أفما تعيب عليه، وتستقذره. فكذلك حال من وقع فى الذنب، ولم يتب منه، ولم يقلع عنه، كمن ينهش فى جيفة قذرة، والمتنجس القدم، وصاحب الثوب

القذر، لا يصلح لمجالسة الملوك والأمراء، فكيف بمن تنجس فمه، أيصلح للحضرة الربانية؟

ومن يتنجس فمه بأكل الحرام هل يصلح لمناجاة الرحمن؟ كذلك أنت تكون فى حضرة الله ملوثًا بمعصيتك، تأكل الحرام، وتنظر إلى الحرام، وتفعل الحرام، وتضمر السوء، وتظن أنك من الواصلين؟ كلا..

فمن يفعل المخالفات، وينغمس فى الشهوات، ويرتكب المحرمات، يظلم قلبه، وتخبث نفسه، وينقص إيمانه. فإذا لم تتب يا أخى حال الصحة. ربما يبتليك بالأمراض والمحن حتى تخرج نقيًا من الذنوب، كالثوب إذا غسل بالماء، وكوى بالكهرباء، لتزول عنه الأوساخ والشحوم، وتعود إليه طهارته ونقاوته.

قال رسول الله ﷺ: إن الله ليجرب أحدكم بالبلاء، كما يجرب أحدكم ذهبه بالنار، فمنهم من يخرج كالذهب الأبريز، فذلك الذى حماه الله من الشبهات، ومنهم من يخرج كالذهب الأسود، فذلك الذى افتتن[1].

(١) رواه الطبرانى.

واعلم أن مثال الإيمان فى القلب، كالشجرة الخضراء فى الأرض، فإذا انقطع عنها الرى والغذاء، واشتد عليها الحر والظمأ، وهبت عليها سموم الصحراء، يبست وسقط ورقها، وأصبحت لا تصلح إلا حطبًا للنيران.

كذلك شجرة الإيمان إذا انقطع عنها فعل الطاعات، وعمل الصالحات، وهبت عليها رياح الذنوب، وحر السيئات، يبست وفرغ إمدادها، وذبل عودها، وخيف عليها الموت والهلاك.

فمن أراد القيام بالواجبات فليترك المحرمات، وليغلق عنه باب الذنوب والسيئات.

ومن ترك المكروهات أعين على تحصيل الخيرات، ومن ترك المباحات فتح الله له باب الطاعات، وأعانه على عمل القيام بالواجبات ووسع عليه توسعة لا يسعها عقله، وأباح له حضرته، وأشرق نور الإيمان فى قلبه، وظهر أثر ذلك كل على جوارحه وأعضائه، وحركات نفسه، وكلمات لسانه، وارتسمت أمارات الإيمان على وجهه، فمن هيئت له المنازل، لم يرض له بالقعود على المزابل.

عن النعمان بن بشير ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إن الحلال بين، والحرام بين، وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات، فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع فى الشبهات وقع فى الحرام، كالراعى يرعى حول الحمى، يوشك أن يرتع فيه، ألا وإن لكل ملك حمى.. ألا وإن حمى الله محارمه. ألا وإن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت، فسد الجسد كله، ألا وهى القلب"[1].

واعلم أنه لا شىء يخجلك يوم القيامة، مثل درهم، اكتسبته من حرام، أو أنفقته فى حرام. ومما يخاف عليك موالاة الذنوب، والإصرار عليها، ليستدرجك فيها، قال تعالى: (سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ) [2].

فاتق الله أيها المؤمن، وحافظ على دينك، كما تحافظ على سمعك وبصرك، وابتعد عن الذنوب، كما تبتعد عن الأمراض الفتاكة، والجراثيم المهلكة، ولا تقترب منها وتعتمد على التوبة

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) سورة القلم، آية ٤٤.

بعدها، فإن الوقاية خير من العلاج، وربما قضى عليك بالذنب، ليخرج منك الكبر والعجب، فإن الرجل قد يصلى ركعتين يعتمد عليهما، ويعجب بهما، أو يحج بيت الله ويعتمد على ذلك، فهذه حسنة أحاطت بها سيئات، ورب رجل يقع فى المعصية، فتكسبه ذلة وانكسارًا، ويديم المسكنة والافتقار فهذه سيئة أحاطت بها حسنات.

سوء الخاتمة

واعلم أيها العبد أن أخطر ما يخاف عليك منه سوء الخاتمة ـ والعياذ بالله تعالى ـ وذلك بسبب انطفاء نور الإيمان فى قلبك بسواد العصيان، وهو الذنب على الذنب من غير توبة حتى يسود القلب ويظلم، كالوردة البيضاء التى ألقى عليها الطين؟. قال رسول الله ﷺ: إن المؤمن إذا أذنب ذنبًا كانت نكتة سوداء فى قلبه، فإن تاب ونزع، واستغفر صقل منها، وإن زاد زادت حتى يغلف بها قلبه، فذلك الران الذى ذكره الله فى كتابه (كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ)"[1].

وإياك يا أخى أن تتهاون فى طاعتك، واحذر نفسك التى بين جنبيك، فهى من أشد أعدائك عليك، ثم هى لا تفارق صاحبها إلى الممات، والشيطان يفارقك فى رمضان؛ لأنه تغل فيه الشياطين ومردة الجان. وربما تجد من يقتل ويفعل الذنب فى شهر رمضان، فهذا من النفس الأمارة بالسوء. فإذا مالت نفسك إلى المعصية فذكرها بعذاب الله تعالى، والقطيعة عنه بسبب

---

(١) رواه الترمذى.

معصيته، والعسل المسموم يترك ـ مع العلم بحلاوته ـ لما فيه من وجود الأذى على الجسد، فكذلك الذنب مع لذته يترك لما فيه من سم القطيعة، قال رسول الله ﷺ : "الدنيا خضرة حلوة"[1]. ويروى أيضًا أنه قال: "جيفة قذرة" والمعنى أنها حلوة خضرة عند أهل الغفلة، وجيفة قذرة عند أهل الفضل العقلاء، حلوة خضرة عند النفوس الخبيثة، جيفة قذرة، عند مرايا القلوب الطاهرة، حلوة خضرة للتحذير، جيفة قذرة للتنفير. فلا تخدعنكم بحلاوتها، فإن عاقبتها مرة، كما قيل: الدنيا جيفة وطلابها كلاب.

هى الدنيا تقول بملء فيها حذار حذار من بطشى وفتكى
فلا يغرركموا منى ابتسام فقولى مضحك والفعل مبكى

وإذا كان العبد معجبًا بطاعته، متكبرًا على خلقه بعلمه، ممتلئًا عظمة بعبادته، يطلب من الخلق أن يوفوا حقوقه، ولا

---

(١) حديث "الدنيا خضرة حلوة إن الله تعالى مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون" فى صحيح مسلم وغيره عن أبى سعيد به مرفوعًا.

يوفى حقوقهم، ويحترموه ولايحترمهم، فهذا من أهل الكبرياء المعجبين، فيخشى عليه سوء الخاتمة، والعياذ بالله.

أما العبد الذى إن وقع فى معصية، أو ترك واجبًا، فإنك تراه باكيًا حزينًا، منكسرًا ذليلاً، يتطارح على أيدى الصالحين، ويلوذ بمجالس العلماء العاملين. ويضرع إلى ربه معترفًا بالخطأ والتقصير، ويطلب منه العفو والمغفرة، ويسارع إلى الحسنات ليذهب السيئات، فهذا يرجى له حسن الخاتمة، وقبول التوبة.

قال رسول الله ﷺ: إن المهلكات ثلاث؛ إعجاب المرء بنفسه، وشح مطاع، وهوى متبع[1].

---

(١) أخرجه العسكرى عن ابن عباس مرفوعًا، وعن أنس مرفوعًا، وصححه أبو بكر بن العربى.

المنكوب حقًا

ليس المنكوب فى هذه الحياة من مات ولده، أو ضاع ماله، أو فقد أهله وأحبابه، ولكن المنكوب حقًا من محقته الذنوب، وقهرته الشهوات، وطحنته الخطايا حتى جعلته مثل الجلد البالى، هذا هو المنكوب المعزى، ذهبت مآكله بحسناته، وملأ بشهواته المراحيض، وأرضى بها زوجته، وياليتها كانت من حلال، وأضاع شبابه فى السعى لتحصيل الملذات، وقطع العمر فى اكتساب المحرمات، ولا تعتقد أن المنكوب من كان فى الأسر، أو المرض، أو الفقر، أو السجن، فربما كانت هذه الأمور سببًا فى صلته بالله. وينال من ورائها المغفرة والرضوان، وربما جاء الشفاء من مر الدواء، وجاء الخير عن طريق الشر.

ولكن المنكوب المصاب هو من عصى الله تعالى، ولم يتب من ذنبه، وأدخل فى هذه المملكة الطاهرة نجاسة المعصية، وأشعل نار الذنوب فى قلبه حتى جاءه الموت، ونظر فلم يجد فى يده دنيا ولا آخرة، وذلك هو الخسران المبين، كثير من ينفق المال والدنانير فى سبيل الله تعالى، ولكن من ينفق الروح فى سبيل مرضاة الله قليل.

وإذا قيل لك: من يبكى عليه؟ فقل: عبد رزقه الله الصحة والعافية والمال، فأنفق عافيته وماله فى معصية الله، والإفساد فى الأرض، واتباع شهوات نفسه. إذا نمت وأنت على معصية، وخلطت بين الصالح والطالح رأيت الخلط فى منامك، فينبغى لك أن تنام على طهارة وتوبة، وأن تكثر من الاستغفار عند نومك؛ فيفتح قلبك بنور الإيمان، وترى العجب فى نومك، ويحفظك الله من هواجس الشيطان، عن أبى أمامة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "من آوى إلى فراشه طاهرًا يذكر الله، حتى يدركه النعاس، لم ينقلب ساعة من ليل يسأل الله خيرًا من خير الدنيا والآخرة، إلا أعطاه الله إياه"[1].

ولكن من كان فى نهاره عاصيًا لاغيًا، كان فى ليله عن الله غافلاً ساهيًا.

غلطوا والله فى النواح على زوجة، أو زوج، أو والد، أو ولد، بل كان الواجب عليهم أن يقيموا النوائح على فقدانهم

(١) رواه الترمذى فى صحيحه.

تقوى الله، وخلو قلوبهم من خوفه، وحرمانهم من حبه وخشيته.

واعلم أن أول ما ينبغي لك أن تبكي عليه هو عقلك، فكما يقع القحط في الكلأ الأخضر والزرع يقع في عقول الرجال.

وبالعقل عاش الناس مع الله، ومع الناس، مع الناس بحسن الخلق، ومع الله تعالى باتباع شرعه.

وكل كسر فإن الدين يجبره   وما لكسر قساة الدين جبران

قال رسول الله ﷺ: "من لم يرعو عند الشيب، ويستحي من العيب، ولم يخش الله في الغيب، فليس لله فيه حاجة"[1].

(١) ذكره الديلمي بلا سند عن جابر رضي الله عنه مرفوعًا.

من هو الأحمق؟

اعلم أن الأحمق من الناس هو من مات ولده فجعل يبكى عليه ويندبه، ويحزن ويتحسر، ولا يبكى على ما فاته من طاعة الله تعالى. فكأنه يقول بلسان حاله: أنا أبكى على ما كان يشغلنى عن ربى، وكان ينبغى له التسليم لقضاء الله وقدره، والرضا به والصبر على الابتلاء، ويفرح ويقبل على مولاه؛ لأنه أخذ منه ما كان يشغله عنه، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلاَدُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ (1).

وقبيح بك أيها العبد أن يظهر الشيب فى وجهك، وعقلك صغير مثل عقول الأطفال، لا يميز بين الخير والشر، ولا تفهم مراد الله منك، ولا تدرك حكمته فى ابتلائك فى هذه الحياة، فإن كنت عاقلاً حقًّا فاعتقد أن مصيبتك فى دينك أشد، وأخطر من مصيبتك فى دنياك، وابك على نفسك قبل أن يُبكى عليك يوم موتك، فإن الزوجة، والولد، والصديق لا يبكون عليك إذا مت، بل يبكون على منافعهم التى ضاعت عليهم بفقدك، ولو

---

(1) آية ١٥ من سورة التغابن.

كنت عديم الفائدة، قليل النفع، ما بكى عليك أحد، بل يفرحون بموتك ويستريحون، فسابقهم أنت إلى البكاء في حياتك، وقل في نفسك، يحق لي أن أبكي على فوات حظي من ربي، وحرماني من طاعته، قبل أن يبكوا علي.

روى عن زيد بن أرقم ﷺ أنه قال: قال رجل: يا رسول الله بم أتقي النار؟ قال: "بدموع عينيك، فإن عينًا بكت من خشية الله، لا تمسها النار أبدًا"[1].

يا هذا: إذا لم يكن بينك وبين الله ورع وخوف يحجزك عن المعاصي، إذا خلوت وحدك، فابك على نفسك، وضع التراب على رأسك لقوله ﷺ: "من لم يكن له ورع يحجزه عن معاصي الله إذا خلا، لم يعبأ الله بشيء من عمله".

أتحسب أن حسن الخلق، هو أن يكون الإنسان حسن الملتقى، كريم المعاملة، سخيًا مع الناس، ويضيع حقوق الله، ويتعدى حدوده؟

(١) رواه ابن أبي الدنيا والأصبهاني.

كلا: ليس هذا بحسن الخلق، بل هو نفاق وخداع وسياسة، ولا تكون ممدوحًا بحسن الخلق. ولا متصفًا بالأدب حتى تكون قائمًا بحقوق الله مطبقًا لأحكامه، مستسلمًا لأوامره، مبتعدًا عن محارمه.

عن أبي ذر ﷺ أن النبي ﷺ قال: "يا أبا ذر، لا عقل كالتدبير، ولا ورع كالكف، ولا حسب كحسن الخلق"(١).

فمن منع نفسه عن معاصي الله ﷻ وأدى حقوقه، وعظم أوامره ونفذها، فقد حسن خلقه وطابت نفسه، قال تعالى: (وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى) (٢).

ومن القبح والحماقة أن تؤدى حقوق العباد، وتحسن معاملتهم، ولا تؤدى حقوق ربك وخالقك ومولاك، ولا تحسن الصلة به.

---

(١) رواه ابن حبان في صحيحه وغيره، ومعنى الكف: منع الأذى، والحسب ما يحسب للرجل من المفاخر.

(٢) آية ٤٠ ـ ٤١ من سورة النازعات.

الجاهل حقًا

لا تعتقد أن الجاهل هو من حرم من نور المعرفة والعلم فقط، ولكن الجاهل هو من أعرض عن طاعة الله ﷻ ولو كان من كبار المفكرين، أو من أعاظم المثقفين، قال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ (1).

فقد ذمهم الله ﷻ بأنهم عقلاء فى أمور الدنيا بله فى أمر الدين، وقد بينت الآية بأنه لا فرق بين عدم العلم الذى هو الجهل وبين وجود العلم، الذى لا يتجاوز معرفة ظاهر الدنيا. وأفادت أن للدنيا ظاهرًا وباطنًا، فظاهرها ما يعرفه الجهال من التمتع بزخارفها، والتنعم بملاذها وباطنها، وحقيقتها أنها مجاز إلى الآخرة، يتزود منها إليها بالطاعة، والأعمال الصالحة. اهـ. كشاف.

كفى بك جهلاً أن يعاملك مولاك بالإحسان والكرم والوفاء، وأنت تعامله بالمخالفة والقطيعة والجفاء.

(1) من آية ٦ وآية ٧ من سورة الروم.

ليس الرجل من تزعم الناس، وصاح بينهم فى المجالس، ونفسه غارقة فى أوحال الذنوب، ولكن الرجل حقًا من صالح على نفسه، وردها عن غيها إلى طاعة سيدها ومولاها.

قال تعالى: ﴿رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [1].

ليس الرجل من يريبك لفظه، وإنما الرجل من يريبك لحظه، عن الشيخ أبى العباس المرسى ـ رحمه الله تعالى ـ قال: إذا كانت السلحفاة تربى أفراخها بالنظر، كذلك الشيخ يربى مريده بالنظر؛ لأن السلحفاة تبيض فى البر وتتوجه إلى جانب النهر، وتنظر إلى بيضها، فيربيهم الله لها بنظرها إليهم على بعد. كفى بك جهلاً نظرك إلى صغير إساءة غيرك. وتعاميك عن كبير إساءتك، فطوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس.

(١) آية ٣٧ ـ ٣٨ من سورة النور.

مثالك مثال رجلين اشتريا أرضًا قياسًا واحدًا، فأخذ أحدهما نصيبه ونقاه من الشوك، والحشائش، وحرثه وأفلحه، وبذره واعتنى به، وأجرى فيه الماء، فنبت الزرع، واخضرت الأرض، وأثمرت، وآتت أكلها، وجنى ثمارها، وانتفع بها، فهذا مثل من نشأ فى الطاعة، وابتعد عن المعصية فأشرقت أنوار قلبه، وتلذذ بطاعة ربه، وانتظر الأجر والثواب يوم الحساب.

وأما الآخر.. فإنه أهمل أرضه وهجرها، حتى نبتت فيها الأشواك والحشائش الفاسدة. وبقيت مأوى للأفاعى والحيات. ومسكنًا للديدان والهوام، فهذا مثل الجاهل الغافل، الذى ترك نفسه للهوى والشيطان، حتى أظلم قلبه بالمعاصى والذنوب، ووقع أسيرًا لآفات الملذات وحياة الشهوات، ونبت فى قلبه حب المنكر، وتربت روحه على أكل الحرام، ونمت أعضاؤه منه قال تعالى: (أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)[1].

(١) آية ٢٢ من سورة الملك.

الجاهل: هو من عال هم الدنيا، وترك هم الآخرة، ورضى بالحياة الدنيا، وركن إليها،فمثله، كمن جاءه أسد ليفترسه، ثم قرصه برغوث ففزع واشتغل بالبحث عنه عن الأسد حتى هجم عليه وأكله.

فإن من غفل عن الله شغل بالحقير، ومن لم يغفل عنه لم يشغل إلا به، ومن اشتغل بهموم الدنيا الحقيرة الفانية عن الآخرة العظيمة الباقية، فهو غر جاهل.

فالأولى لك أن تفوتك الدنيا لتحصل لك الآخرة، فهذا أحسن أحوالك، فطالما فاتتك الآخرة لتحصيل الدنيا. ما أقبح الخوف من الجندي! ما أقبح اللحن بالنحوى! ما أقبح طلب الدنيا لمن يظهر الزهد فيها أمام الناس.

قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لا يُبْخَسُونَ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[1]. كفى بك جهلاً أن تغار على زوجتك، ولا تغار على

(١) آية ١٥ ـ ١٦ من سورة هود.

إيمانك، تغار عليها لأجل نفسك وشهوتك، ولا تغار على قلبك لأجل ربك، فإذا كنت تحفظ ما هو لك، ألا تحفظ ما هو لربك؟

كفى بك جهلاً أن تحسد أهل الدنيا بما أعطوا، وتشغل قلبك بما عندهم حقدًا وحسدًا، فتكون أجهل منهم؛ لأنهم اشتغلوا بما أعطوا، واشتغلت أنت بما لم تعط.. ترمد عينك فتسارع إلى علاجها. وتنفق عليها الأموال، حتى لا يفوتك النظر إلى جمال الحياة ومستحسناتها، وترمد بصيرتك أربعين سنة، فلا تعالجها ولا تحزن عليها، ولا تبحث عن طبيب الإيمان ليداويها.

قال تعالى: (فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ)[1]. كفى بك جهلاً أن الناس يخزنون الأقوات لوقت حاجتهم إليها. وأنت تخزن ما يضرك وهى المعاصى، والعقاب عليها يوم القيامة، هل رأيت من يأتى بحيات، ويربيها فى داره؟ فها أنت تفعل ذلك.

(١) من آية ٤٦ من سورة الحج.

كفى بك جهلاً أن تعتمد على المخلوقين، وتترك باب الخالق سبحانه وتعالى، كفى بك جهلاً أن تطمع فيما فى أيدى الناس، وتؤمل الخير فى جهتهم، ولا تطمع فيما عند الله، ولا تطلب الخير منه، ولا تعلق آمالك عليه، فقد ارتكبت المعاصى من كل جانب، أفلا تكون حزينًا على نفسك، متأسفًا عليها؟ متألمًا لما وقعت فيه من الخيبة والضلال؟

فالعالم من عرف الطريق إلى الله، واهتدى إليها وسلك فيها.

والجاهل من ضل عن طريق الطاعة، وسلك سبيل الغواية والضلال، قال تعالى عن أهل الجهل والضلالة: (وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَىِ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ) [1].

---

(١) من آية ١٤٦ من سورة الأعراف.

الغافل عن الله

إياك يا أخى والمعصية، فقد تكون سببًا فى سد أبواب رزقك، وإياك والغفلة عن الطاعة، فقد تكون سببًا فى طمس البصيرة، وانقطاعك عن الله، قال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ [1].

واعلم أن من أنفق عافيته وشبابه، وصحته فى معصية الله، فمثاله كمن خلف له أبوه ألف دينار، فاشترى بها حيات، وعقارب وآفات، وجعلها حوله فى حجرة نومه، تلدغه هذه مرة، وتلسعه هذه مرة أخرى، وتنهشه هذه أخرى، أفما تقتله ولو بعد مدة؟

كذلك أنت تقضى الساعات الطوال فى مخالفة الله تعالى، وتحقيق أغراض الشيطان، وتضيع رأس مالك، وهو الشباب فى معصية الله عز وجل.

---

(١) آية ٢٠٥ من سورة الأعراف.

فما مثالك.. إلا كالطيور الجارحة، تطوف على الجيفة، وتبحث عنها، فإذا وجدتها انحطت عليها والتهمتها، مع كبر جسمها، وقوة أجنحتها، وعلو ارتفاعها، وحدة بصرها ، لأن همتها سافلة، ونفسها منحطة، تسقط على الأقذار.

فكن يا أخى كالنحلة، صغير حجمها، قصير جناحاها، قليل طيرها، ولكن همتها عظيمة، ونفسها عالية، لا تسقط إلا على الزهور، ولا تجنى إلا الطيب، ولا تضع إلا العسل الشهى، ولا تعمل إلا الخير.

وإذا كانت النفوس كبارا تعبت فى مرادها الأجسام

أخى: طالما تمرغت فى مواطن المحن، وابتليت بأنواع المصائب، وضربت بسياط النكبات، لتتنبه من غفلتك، وتستيقظ من غفوتك، وترجع إلى ربك، وتقلع عن ذنبك، ولكن لم يفد فيك ذلك شيئًا، فإن من أماتته الغفلة لم ترده النكبات، ولم تفلح فيه العظات؛ لأن المرأة المسلوبة العقل، يذبح ولدها فى حجرها، وهى تأكل وتضحك، ولا تشعر بما جرى لها، ولا تحزن لما أصابها؛ لأنها لا تفقه شيئًا.

فكذلك أنت: تتنكب عن قيام الليل، وتحرم من لذة تلاوة القرآن، وتتهاون فى أداء الفرائض، وتصاب فى جميع جوارحك بالغفلة والجمود، ولا تشعر ولا تحزن، ولا تتألم ولا تندم، بل تأكل وتضحك، وتمرح، وما ذلك إلا لأن الغفلة قد طمست عين بصيرتك، وأماتت موضع الشعور من قلبك، وسلبت حلاوة الإيمان من نفسك، فأصبحت لا تميز بين ما يضر وما ينفع.

والرجل الحى يؤلمه نغز الإبرة، ويفزعه سن الشوكة، أما الميت فلو قطع بالسيوف ومزق بالمناشير، فلا يشعر ولا يتألم.

فإذا كنت لا تحزن على فوات الطاعة، ولا تتألم بعد الوقوع فى المعصية، فأنت حينئذ ميت القلب، فاقد الضمير، لا تفرق بين الخير والشر، ولا تميز بين السعادة والشقاوة، ولا تعرف النافع من الضار.

فابك يا أخى على نفسك، وحاول أن توقظ قلبك وأن ترد إليه الحياة، فاجلس مجلس العلم والحكمة، ففيه نفحة من نفحات الجنة، تجدها بعد المجلس، فى طريقك، وفى دارك، وفى حانوتك، وأنت مع أهلك.

ولا تفُتْك مجالس العلم والوعظ، ولا تقل ما الفائدة من حضور مجالس الخير والطاعة، وأنا واقع فى الذنوب، ولا أقدر على ترك المعصية؟

فهذا من وسوسة الشيطان الرجيم، ودخائله على نفس المؤمن ليحرمه من الخير، بل يجب على الرامى أن يرمى، فإن لم يأخذ اليوم صيدًا أخذ غدًا، وعلى المريض أن يشرب الدواء، وإذا لم يشف اليوم ففى المستقبل، ولا تيأس من رحمة الله.
قال تعالى: (قُلْ يَا عِبَادِى الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) [1].

واعلم يا أخى أن الله تعالى إذا من عليك بثلاث خصال، فقد من عليك بالنعمة الكبرى التى تفوق كل النعم، وكأنه لم يفتك شيء من حظوظ هذه الحياة، بل وصلت إلى نصيبك الأوفى، وبلغت أمنيتك العظمى.

---

(١) آية ٥٣ من سورة الزمر.

الأولى: الوقوف على حدود الله، وذلك بفعل الطاعات، والقيام بالواجبات.

الثانية: الوفاء بعهوده تعالى التى عاهد عباده عليها، وهى البعد عن المعاصى والتوبة منها.

الثالثة: الاستغراق فى شهوده تعالى، وشغل قلبك بذكره حتى تنسى ما عداه.

وما سبب استغرابك لأحوال العارفين، إلا استغراقك فى القطيعة، وحبك للدنيا، وانشغالك بالمعصية، وكراهيتك للطاعة. وبعدك عن الله ﷻ ولو شاركتهم فى الأسفار لشاركتهم فى الأخيار، ولو شاركتهم فى سهر الليالى والتعب، لشاركتهم فى راحة الضمير والسعادة والهناء، ولكن من ابتعد حرم.

يحكى أنه كان لبعضهم زوجة تحبه وتغار عليه، فقالت له يومًا: لا أقدر على غيابك عنى، ولا أستطيع فراقك، ولا أقبل أن تشغل بغيرى، بل كن معى دائمًا لا تفارقنى ولا تجالس أحدًا، ولا تفكر فى شىء سواى. فسمع هاتفًا فى نومه يقول له: إذا كانت هذه لا خالقة ولا موجدة، وهى تحب أن تجمع قلبك عليها، فكيف لا تحب ربك أن تجمع قلبك عليه؟

قال رسول الله ﷺ: "ليس أحد أحب إليه المدح من الله، من أجل ذلك مدح نفسه، وليس أحد أغير من الله، من أجل ذلك حرم الفواحش، وليس أحد أحب إليه العذر من الله، ومن أجل ذلك أنزل الكتاب وأرسل الرسل"(1).

واعلم أن الغافل قد ضيع أثمن شيء عنده، وأغلى شيء لديه فى هذه الحياة، من حيث لا يدرى ولا يعلم، فالمال مهما كان كثيرًا فهو قليل إذا وقعت فيه أيدى السراق، والناهبين.

فكذلك عمر الغافلين منهوب بين المعاصى والذنوب، والعمر هو رأس مال المؤمن، وإذا ضاع رأس ماله، لا يستطيع التجارة مع الله، وخرج من الدنيا وهو من الخاسرين، وقد أمرنا الله تعالى بالبعد عن هؤلاء، ونهانا عن طاعتهم ومجالستهم واتباعهم، فقال تعالى: (وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا) (2).

---

(1) رواه مسلم فى صحيحه.

(2) من آية 28 من سورة الكهف.

أهل المعرفة بالله

وهناك فرق بين أهل الغفلة، وأهل المعرفة، يظهر ذلك فى تفكيرهم وأحوالهم، فأهل الغفلة إذا ناموا، يقولون غدًا سنعمل كذا وكذا، اعتقادًا منهم أن الأمور بأيديهم. أما أهل المعرفة فإذا ناموا يقولون: غدًا ماذا يفعل الله بنا؛ لأنهم يعتقدون أن الأمور بيد الله تعالى.

أهل الغفلة إذا أصبحوا يتفكرون فى الدنيا ويبحثون عنها، ويتفقدون أحوالهم بزيادتها ونقصها. وأهل الزهد والعبادة إذا أصبحوا يتفقدون أحوالهم مع الله، ويهتمون بزيادة طاعتهم.

وأهل المعرفة: إذا أصبحوا، أو أمسوا، يتفقدون قلوبهم مع الله عز وجل. فانظر فى نفسك يا أخى لتعرف من أى طائفة أنت، ولا تخدعنك نفسك.

واعلم بأنه ما من نفس يبديه الله فيك من طاعة أو مرض، أو غنى أو فقر، إلا وهو يريد أن يختبرك بذلك ويبتليك، قال تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾[1].

---

(١) من آية ٣٥ من سورة الأنبياء.

واعلم بأنهم كما اعتبروا للظاهر جنابة، تمنعك من دخول بيت الله، وإقامة الصلاة، وتلاوة القرآن ومسه، كذلك اعتبروا للباطن جنابة تمنعك من دخول حضرته، والتلذذ بذكره وطاعته، وفقه شرعه، وفهم كلامه، وهى جنابة الغفلة، وقد نهانا الله عن اتباع هؤلاء وطاعتهم فقال: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ (١).

والمؤمن كلما ذكر ذنبه حزن، وكلما ذكر طاعته فرح. قال لقمان الحكيم: المؤمن له قلبان ؛ يرجو بأحدهما، ويخاف بالآخر، يرجو قبول عمله، ويخاف ألا يقبل منه، وقيل: لو وزن خوف المؤمن، ورجاؤه لاعتدلا. قال تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾ (٢).

فمن أراد أن يجمع قلبه على الله تعالى، ويخرج من مصائب الغفلة، فعليه بالقيام بأوامر الله عز وجل، والإكثار من ذكره، والمداومة على تلاوة كتابه.

---

(١) من آية ٢٨ من سورة الكهف.

(٢) من آية ٩ من سورة الزمر.

أيها العبد. إذا رأيت فيك الإعراض عن الله، والغفلة والشهوة فهذا وضعك ومن نفسك. وإذا رأيت فيك الإنابة والخشية والزهد فى الدنيا، فهذا من صنائع الله سبحانه.

مثال ذلك: إذا رأيت ببلدك الحلفاء والشوك، فهذا نبات أرض بلدك، ومن طبيعتها، وإذا رأيت فيها الورد والمسك، والطيب، والعنبر، فاعلم أنه مجلوب من صنائع الله ليس من نبات أرضك، فالمسك من غزلان عراقها، والعنبر من بحر هندها.

بقى بعضهم أربعين سنة لا يحضر صلاة الجماعة فى المسجد، لما يشم من نتن رائحة قلوب الغافلين.

ويروى: أنه ما من صيد يصاد فى الماء أو الهواء إلا إذا غفل عن تسبيح الله، ولا تقطع شجرة إلا بغفلتها عن ذكر الله؛ لأن السارق لا يسرق بيتًا وأهله أيقاظ، بل يسرق على غفلة أو نوم.

التائه فى صحراء هذه الحياة

اعلم أيها الأخ الكريم أن التائه ليس هو من ضل الطريق، وتاه فى البرية والصحراء، ولكن التائه الضائع هو من تاه عن سبيل الهدى والرشاد، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (1). التائه الضال هو من طلب العز من الناس، ولم يطلبه من الله، فمن فعل ذلك فقد ضل وأخطأ الطريق، ومن أخطأ الطريق لم يزده سيره إلا بعدًا عن الله عز وجل.

فهذا هو التائه حقًا إلا أن يتوب ويرجع إلى الإيمان، ويسلك الطريق المستقيم، طريق سيدنا محمد بن عبد الله ﷺ وأصحابه الأطهار الأخيار، رضى الله عنهم، فإذا قلت: لا إله إلا الله، طالبك الله بها وبحقها، وحقها ألا تنسب الأشياء إلا إليه، وتعتقد اعتقادًا جازمًا لا شك فيه، بأنه الخالق لنا ولأعمالنا ولا يجرى شىء فى ملكه إلا بعلمه وإذنه، وأن تصريف جميع الأمور فى الكون منه وإليه، فالله تعالى يقول فى كتابه العزيز

(1) آية ١٥٣ من سورة الأنعام.

عن طائفة ضالة مضلة: (طَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الأَمْرِ مِنْ شَىْءٍ قُلْ إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ) (1).

ومثال من يشهد للمخلوقين، أو يعتقد أن للناس أفعالاً حقيقية يعملونها، كمن ضرب الكلب بحجر، فأقبل الكلب على الحجر يعضه ويخدشه، ولا يعرف أن الحجر ليس بفاعل ولكنه آلة فى يد فاعله. كذلك حال من يعتقد أن الضرر جاءه من العبيد، فيكون هو والكلب سواء، ومثال من يشهد أن الإحسان من المخلوقين، فيتذلل لهم، ويتقرب إليهم طمعًا فيما عندهم، كالدابة إذا رأت سايسها، ومن يقوم بخدمتها وعلفها، بصبصت إليه، وحنت عليه، ويقترب منها سيدها، ومالكها فلا تلقى إليه بالاً، وربما نفرت منه، وركلته برجلها، جهلاً منها أنه مالكها، وسبب نعمتها، وصاحب خيراتها، فهى لقصر عقلها لا تستطيع أن تميز بين العبد والسيد. فإذا كنت أيها العبد تعتقد أن الخيرات التى وصلت إليك هى من الناس، وأنهم أصحاب الجميل

(1) من آية ١٥٤ من سورة آل عمران.

عليك، فأنت والدابة سواء، وأنت التائه عن طريق الحق والصواب. فصحح يا أخى أوضاع عقلك، وثب إلى صوابك، ورشدك؛ حتى تشهد ورود الأشياء من الله المنعم المنان.

ولا تشهدها من غيره، وإنما أجرى الله نعمته على يد عبد من عباده، ولا جميل للعبد قط، إلا خدمة توصيلها إليك. فاشكر ربك قبل عبده، واحمد الله الذى من عليك بهذه النعم، وعطف عليك قلوب عباده.

وإياك يا أخى وذهول القلب عن وحدانية الله تعالى فى كل لحظة من حياتك، فأول درجات الذاكرين استحضار وحدانية الله تعالى، وما ذكره الذاكرون وفتح عليهم إلا باستحضارهم ذلك، وما طردوا من رحمته إلا بذكرهم مع غلبة ذهول قلوبهم، وإعراضهم عن الله، واستعن على ذلك بقمع الشهوتين البطن والفرج، والسير على طريق أهل الحق والصواب من الأنبياء والمرسلين، والمؤمنين الصالحين، قال تعالى: (وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ)[1].

---

(١) آية ٥٦ من سورة المائدة.

معاشرة الأخيار

إذا صحبت أبناء الدنيا جذبوك إليها، وإذا صحبت أبناء الآخرة جذبوك إلى الله.

عن أبى ذر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "أفضل الأعمال الحب فى الله، والبغض فى الله"[1].

وعن أنس ﷺأن رجلاً سأل رسول الله ﷺ متى الساعة؟ قال: وما أعددت لها قال: لا شىء إلا أنى أحب الله ورسوله، قال أنت مع من أحببت، قال أنس: فما فرحنا بشىء فرحتنا بقول نبى الله ﷺ: "أنت مع من أحببت"، قال أنس: فأنا أحب النبى ﷺ وأبا بكر وعمر، وأرجو أن أكون معهم بحبى إياهم"[2].

فهذا حديث يبين أن محبة الصالحين الأخيار تنفع فى الدنيا والآخرة، تنفع فى الدنيا بالقدوة الحسنة والنصيحة الخالصة والمعاونة على فعل الخير والتخلق بالصفات الحسنة المحمودة، وتنفع فى الآخرة بأن يحشر معهم، ويكون فى زمرتهم، وتنفع

(١) رواه أبو داود.

(٢) رواه البخارى ومسلم.

بشفاعتهم، فلينظر أحدكم من يصاحب، فكما تختار لنفسك المآكل الطيبة، التى لا ضرر فيها، والزوجة الحسنة لتتزوجها.

فكذلك لا تصاحب إلا من يعرفك الطريق إلى الله سبحانه وتعالى، وقد قيل: من دلك على أعمال الشريعة فقد أتعبك، ومن دلك على الدنيا فقد غشك، ومن دلك على الله فقد نصحك، فاصحب الشيخ الذى يدلك على نسيان نفسك ومعرفة ربك، فإذا نسيت حظوظ نفسك ذكرت ربك، قال تعالى: ﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ [1].

واعلم أن لك ثلاثة أخلاء؛ أحدها: المال، تفقده عند الموت، وينتقل إلى الورثة قبل دفنك.

والثاني: الأهل والعيال، يحملونك، ويتركونك فى قبرك، ويلقون عليك التراب.

والثالث: عملك، يصحبك وأنت محمول على أعناق الرجال. وينزل معك قبرك، ويوضع فى كفة حسناتك يوم القيامة.

---

(١) من آية ٢٤ من سورة الكهف.

فاصحب يا أخى من يدخل معك فى قبرك، ويؤنسك فى وحشتك، ويذهب وحدتك، وكما أن للدنيا أبناءً من استند إليهم كفوه، فكذلك للآخرة أبناء، من استند إليهم أغنوه، ولا تقل طلبنا أبناء الآخرة فلم نجد، فلو طلبت بصدق لوجدت، وسبب عدم وجدانك هو عدم استعدادك، فإن العروس لا تظهر على فاجر بل تختفى عنه، فلو طلبت رؤية العروس لتركت الفجور، ولو تركت الفجور لرأيت أولياء الله تعالى، وهم كثيرون والحمد لله، لا ينقص عددهم، ولا يقل مددهم، وإذا أحببت حبيبنا لن تصل إليه حتى تكون أهلاً للوصول إليه، وذلك حتى تطهر مما أنت فيه من الخطايا والرذائل.

واعلم أنه لا أحد يصحبك فينفعك، وكل من يصحبك، إنما يصحبك لنفسه، ويحبك لمنفعته، وما تحبك الزوجة إلا لتتمنى منك مطايب العيش، وأحسن الملابس، وكذلك الولد: يقول فى نفسه إنى وارث أبى، وأشد به ظهرى، فإذا كبرت ولم تبق فيك قوة، ولم تعد منك منفعة عليهم، كرهوك وتمنوا فراقك وموتك.

واعلم أن من أكثر مجالسة أهل هذا الزمان، فقد تعرض لمعصية الله تعالى، ومثاله كمن جعل الحطب اليابس على النار، ويريد ألا تحترق، فقد أراد محالاً.

فقد ورد: خص بالبلاء من عرف الناس، وقال تعالى: (فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلاَّ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا) (١).

وقد أمرنا الله تعالى بالبعد عن مجالسة أهل الفسق والإعراض عنهم وترك مصاحبتهم، فقال تعالى: (وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) (٢).

وربما جالست غير تقى، وكنت أنت تقيًا فجرك إلى الغيبة، والكذب، وغلبك على نفسك، وأنساك ذكر الله، وحرمك من لذة طاعته.

---

(١) آية ٢٩ من سورة النجم.

(٢) آية ٦٨ من سورة الأنعام.

واعلم أن الشيخ العالم بعلمه، أندر من الكبريت الأحمر فى هذا الزمن، فإنك إذا طلبت قارئًا وجدت ما لا يحصى، وإذا طلبت طبيبًا وجدت الكثير، وإذا طلبت فقيهًا وجدت مثل ذلك، ولكن إذا طلبت من يدلك على الله بقوله وعمله، ومن يعرفك بعيوب نفسك صادقًا مخلصًا، لم تجد إلا قليلاً، فإن ظفرت به فأمسكه بكلتا يديك، واحرص على مصاحبته، وأكثر من مجالسته، فهو أنفع شىء لك فى الحياة.

واعلم أنه ليس كل من صحب العلماء الأكابر اهتدى بهم، وانتفع بصحبتهم، واستفاد منهم، فإن بعض الناس اغتروا بصحبة العلماء، واتكلوا على ذلك، وتركوا العمل، واتخذوا صحبتهم طريقًا إلى الشهرة والرياء، فلا تجعل صحبة المشايخ ومعرفتهم علة فى نجاتك من النار وأمنك من عقاب الله يوم القيامة؛ لأن من اغتر بالله فقد عصاه؛ لأنك أمنت عقوبته: كما يقول بعض الجهال: صحبت سيدى فلانًا، ورأيت سيدى فلانًا، وأنا من المحاسيب، ويدعى دعاوى كلها كاذبة باطلة.

وكان ينبغى لهم أن تزيدهم صحبة هؤلاء معرفة بالله وخوفًا، وإخلاصًا وتقوى، واجتهادًا فى طاعة الله، وإقبالاً على التوبة وعمل الخير، والإكثار منه.

فقد كان الصحابة رضوان الله عليهم فى صحبة رسول الله ﷺ وكانوا أكثر الناس وجلاً من الله ومخافة منه، وكانوا من أحرص الناس على الطاعة والعبادة.

واعلم أن العلماء والحكماء يعرفونك كيف تدخل إلى الله تعالى، وكيف تتعامل معه، وتعبده وتتقرب إليه، فهل رأيت مملوكًا أول ما يشترى يصلح للخدمة؟ بل يعطى لمن يربيه ويعلمه الأدب، فإن صلح وعرف الأدب قدمه للملك، ومن أخذه الملك أعزه، ومن لا يصلح للخدمة بقى للرعية، وحرم من المعية.

كذلك الأولياء والمربين ـ رضى الله عنهم ـ يصحبهم المريدون حتى يرتقوا بهم إلى الحضرة؛ كالرجل العوّام إذا أراد أن يعلم الصبى العوم يجاذبه ويسير بجواره حتى يتعلم ويعرف العوم وحده، فإذا صلح للعوم واطمأن إليه ، ووثق بمهارته، زجه فى اللجة وتركه.

كيف تعامل أهل المعاصى

ومما تمادى عليه أهل هذا الزمان مباسطتهم، ومؤانستهم للعاصين واحترامهم، ومقابلتهم بالبشاشة والإجلال، والثناء عليهم فى المجالس، ومخاطبتهم بألقاب الشرف، ومصاحبتهم طمعًا فيما عندهم، أو خوفًا من بطشهم، مع أن الله تعالى قد نهانا عن هذه الأفعال، فقال تعالى: (لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) [1]

لأن معاملة العاصى على هذا النحو يجعله يتمادى فى إجرامه، ويستمر فى عصيانه، ويكثر من الوقوع فى حدود الله، وقد أمرنا الله بمقاطعتهم، وعدم الركون إليهم فقال تعالى: (وَلا

(١) آية ٢٢ من سورة المجادلة.

تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لا تُنْصَرُونَ) [1].

ولو أن الناس عبسوا فى وجوه العصاة، وعاملوهم بالفتور الاحتقار، وهجروا مجالسهم، وقدموا أهل الدين والورع عليهم، وحرصوا على صحبة الصالحين، والاقتداء بهم ومحاكاتهم، واحترموهم لوجه الله، وفضلوهم على أهل الدنيا، وعرفوا مكانتهم، لو فعلوا ذلك لكان هذا العمل زاجرًا لهم عن المعصية، ورادعًا لهم عن الوقوع فيها، وقد أمرنا الله تعالى أن نحرص على صحبة الأخيار الأطهار، وأن نجالس أهل الورع والمعرفة، فقال تعالى فى كتابه العزيز: (وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا) [2].

---

(١) آية ١١٣ من سورة هود.

(٢) آية ٢٨ من سورة الكهف.

فإذا وجدت ولدك قد عصى ربه، وأعرض عن طاعته، وتكاسل فى خدمته فأدبه بالشرع، ولا تقاطعه، ولا تخرجه من بيتك، بل قابله بالعبوس والكآبة، وبين له أثر المعاصى وعاقبتها، واشرح له ثمرات الطاعات، وبين له فوائدها فى الدنيا والآخرة، حتى يجد رادعًا من ضميره، ويدرك الحقيقة بنفسه، ويعرف الفرق بين الطاعة والمعصية، فيكف عن المعصية كارهًا لها، ويقبل على الطاعة راضيًا بها حريصًا على اقتناصها، قال تعالى: (فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِى أَنْفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيغًا) [1][2].

واعلم أن أكثر ما يدخل المؤمن الشك والحيرة إذا كان عاصيًا، فالناس أما أن يفضحوه، وأما أن يستهزئوا به، فإذا فعلوا ذلك فقد أخطئوا الطريق فى معاملتهم، فإن المؤمن إذا عصى ربه وقع فى ورطة عظيمة كالغريق الذى وقع فى الماء، يتمنى الخلاص، ويرجو النجاة، وإذا وجد من ينقذه اتبعه وأطاع أمره، وطريقة علاجه وإنقاذه من ورطته؛ أن تفعل معه كما فعلت مع

---

(١) من آية من سورة النساء.
(2)

ولدك عند عصيانه، فتعرض عنه فى الظاهر، وتكون له راحمًا فى الباطن، وتنصحه من غير تشهير، بل عن طريق التعريض والتمثيل، وتطلب له المغفرة بظهر الغيب، وتسأل الله أن يتوب عليه، وتأخذ بيده إلى طريق النجاة بسياستك وحكمتك، وحسن موعظتك، قال تعالى: (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) [1].

واعلم أنك كما أمرت أن تعرض عن المعصية، أمرت أن تعرض عمن عصى فلا تؤانسه ولا تضاحكه، بل تدعو له بالهداية.

وإياك أن تقع فى عرضه، أو أن تشهر به، أو أن تنال من كرامته فى المجالس، وما عسى أن تنفعك صلاتك، وصومك وحجك وعبادتك، وأن تقع فى عرض أخيك المسلم.

ولقد كان رسول الله ﷺ يستغفر للعصاة والمذنبين إذا جاءوه،

(١) من آية من سورة النحل.

قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ (1).

وإنما عصى الله من لم يعرف عقابه. وإنما ترك طاعة الله من لم يعرف ثوابه، فلو اطلعوا على عذاب النار وعرفوها ما غفلوا عن طاعته، ولو اطلعوا على ما أعد الله لأهل الجنة من النعيم، ما تركوا عبادته طرفة عين ، وإياك أن تقول ذهب الخير وانطوى بساطه فلسنا نريد من يقنط الناس من رحمة الله، ويوئسهم من مغفرته.

فقد ورد فى زبور داود عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم التسليم: إنى أرحم ما أكون لعبدى إذا أعرض عنى، فرب مطيع هلك بالعجب، ورب مذنب غفر له بسبب انكسار قلبه بالذنب، فإن الله تعالى يقول: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيء﴾ (2).

---

(1) من آية من سورة النساء.

(2) من آية ١٥٦ من سورة الأعراف.

التواضع

اعلم ياأخى أنك إذا أردت أن تنتصر على أعـدائك، وتفـوز بسعادة الدارين فكـن كلـك تواضـعًا وذلـة، قـال تعـالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ (1).

وإن أردت أن تعطـى فـأظهر الفقـر بالاحتيـاج لله: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ﴾ (2)، وإن أردت ورود المواهـب عليك وإنارة بصيرتك، فصحح الفقر والفاقـة لـديك، واعلـم أن الأنوار الربانية على قسمين؛ أنوار أذن لها فى الدخول إلى قلبـك، وأنوار أذن لها فى الوصول، ولم يؤذن لها بالـدخول، فربمـا وردت عليك الأنوار، فوجدت قلبك محشوًا بصور الآثار، فارتحلـت مـن حيث نزلت.

ففرغ قلبك من الأغيار ـ أى من غـير الله ـ تملـؤه بالمعـارف والأسرار.

(1) من آية ١٢٣ من سورة آل عمران.

(2) من آية ٦٠ من سورة التوبة.

والمؤمن يشغله ذكر الله والثناء عليه تعالى عن أن يكون لنفسه شاكرًا، فيزداد تواضعًا، وتشغله حقوق الله عن أن يكون لحظوظ نفسه ذاكرًا، فيزداد إخلاصًا لربه، ولقد جعلك الله فى العالم الأوسط بين ملكه وملكوته؛ ليعلمك جلالة قدرك بين مخلوقاته، وليعرفك أنك جوهرة غالية، انطوت عليها أصداف مكوناته.

واعلم أنك فرد من الأكوان، وجزء منها ما دمت مشغولاً بها، ولم يشهد الكون، فإذا شهدته، وشغلت قلبك به، كانت الأكوان معك مسخرة لأمرك، قال رسول الله ﷺ: "الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه، فإنه يراك"[1].

ولا ترحل بعقلك من كون إلى كون، فتكون كالحمار فى الرحى، يدور حولها، والذى ارتحل إليه هو الذى ارتحل عنه، ولكن ارحل بقلبك من الأكوان إلى المكون، فهذه نتيجة التفكر

(١) رواه البخارى ومسلم.

والتدبر فى ملكوت السموات والأرض، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنتَهَى﴾ [1].

لأن تكون خاملاً فى الدنيا ظاهرًا يوم القيامة، خير لك من أن تكون مشتهرًا فى الدنيا خاملاً يوم القيامة.

وإذا رأيت وليًا لله تعالى صادقًا فى ولايته مقبلاً على ربه، معرضًا عن الدنيا، فلا يمنعك إجلالك من أن تقعد بين يديه، متواضعًا، وتتعلم منه، وتتأدب فى حضرته، وتتخلق بأخلاقه، وتستمع إلى مواعظه ونصحه، ولا يمنعك كبرياؤك واعتدادك بمعارفك، أن تسأله عن دينك، وتطب منه الدعاء، فمن دلك على الله فقد نفعك.

ولقد قال رسول الله ﷺ لسيدنا عمر بن الخطاب ﷺ: "يا أخى لا تنسنا من دعائك"، تعليمًا لأمته، وإشارة لهم إلى طلب الدعاء من أهل الفضل المخلصين.

(١) آية ٤٢ من سورة النجم.

الكبر

اعلم أيها الأخ، أنه لا غريم ولا مدين أمطل فى سداد دينه من النفس الأمارة بالسوء، ولا عدو للإنسان أعظم خطرًا، وأكبر ضررًا من الشيطان الرجيم، ولا معارض فى عمل الصالحات أقوى من الهوى.

ولا يدفع المدد الهابط عليك من السماء، ولا يمنع الرحمة النازلة عليك من فيض الله مثل الكبر - والعياذ بالله-؛ لأن الغيث حينما ينزل من السماء، لا يستقر إلا على الأرض المنخفضة لا على المرتفعات، ولا على رءوس الجبال.

فكذلك قلوب المتكبرين تنتقل عنها الرحمة، وتنزل إلى قلوب المتواضعين، والمراد بالمتكبرين؛ من يجحدون حقوق الناس وينكرونها، لا من يكون ثوبه حسنًا نظيفًا.

ولكن الكبر هو بطر الحق يعنى دفعه، واحتقار الناس، والتعالى عليهم، ولا تعتقد أن الكبر لا يكون إلا فى وزير، أو صاحب جاه، أو مال أو سلطان، بل قد يكون الكبر فيمن لا يملك عشاء ليلة، وفيمن يلبس الثوب المرقع، ويكون التواضع فى

سربال الجاه والسلطان، وهو يفسد ولا يصلح؛ لأنه تكبر على خلق الله، واعتداد بالنفس، وزهو بها.

واعلم أنه ما لبس أحد لباسًا أنتن من لباس الدعوى، بأن يقول الرجل فى المخاصمة: أنت مثلى؟ وأنت يصح لك أن تخاطبنى؟ ومن أنت حتى أكلمك؟ اسأل عن أصلى وحسبى! فأول من هلك بذلك إبليس اللعين، حين قال: (أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ) [1].

فإياك واحتقار الناس وازدرائهم، ولو كان أعرج أجذم أجرب، مشوه الخلقة، فلا تحقرنه، لحرمة لا إله إلا الله فى قلبه وحسن ظنك بكل أحد تفلح وتنجح.

كان رسول الله ﷺ إذا شرب الماء يقول: "الحمد لله الذى جعله عذبًا فراتًا برحمته، ولم يجعله ملحًا أجاجًا بذنوبنا".

وهو ﷺ مقدس عن الذنوب، معصوم منها، ولكن قال ذلك تواضعًا منه، وتعليمًا لأمته.. وكان يمكنه أن يقول صلوات الله وسلامه عليه: بذنوبكم، ولكنه تأدب فى لفظه، وما أكل ﷺ ولا

(١) من آية ١٢ من سورة الأعراف.

شرب إلا ليعلمنا الأدب، وإلا فكان ﷺ يطعم ويسقى من عند ربه.

يا هذا : من أكرم مؤمنًا فكأنما أكرم الله، ومن آذى مسلمًا فكأنما آذى سيده ومولاه.

فإياك ياأخى أن تؤذى مؤمنًا، فإن نفسك قد امتلأت بمساويها، فيكفيك حملك ووزرك، وانظر فى معايب نفسك، وأصلح أخطاءها، وما مثالك إلا كالبصلة، إذا قشرت خرجت كلها قشورًا.

محاسبة النفس

واعلم يا أخى أن نفسك هى من أشد الأعداء عليك؛ لأنها تنهاك عن الطاعة وتأمرك بالسوء، قال تعالى: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّى إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[1].

لذلك يجب عليك أن تراقبها فى كل لحظة، وتعامل نفسك كدابتك، كلما عدلت عن الطريق المستقيم ضربتها، وصددتها عن طريق الفساد، حتى تستقيم على الجادة وترجع إلى الطريق المستقيم ثانية.

ولو فعلت مع نفسك مثل ما تفعل مع ثوبك، كلما توسخ غسلته، وكلما تقطع منه شىء رقعته وجددته، كانت لك السعادة، فرب رجل ابيضت لحيته، وشاب شعر رأسه، وما جلس مع الله جلسة، يحاسب نفسه فيها على ما فرط فى حق ربه ومولاه.

(١) آية ٥٢ من سورة يوسف.

وما مثالك مع نفسك إلا كمن وجد زوجته فى حانة خمار ترقص وتعربد، فأغدق عليها بالملابس الحسنة، وجاءها بالمآكل الطيبة مكافأة لها على ما فعلت.

وأنت إذا تركت نفسك الصلاة أصبحت راضيًا عنها، وترتكب المعاصى، وأنت تطعمها اللحوم وأنواع الحلوى وأجمل الفاكهة، وتزينها بأحسن الثياب وأفخرها، ولا تلومها على ما فعلت، فجاهد نفسك بالتأنيب والتوبيخ والمراقبة الشديدة، فهذا هو الجهاد الأكبر الذى أخبر عنه الرسول الأعظم صلوات الله وسلامه عليه، حيث قال: "رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر".

ولكن يا أخى أتريد أن تجاهد نفسك، وتؤدبها وأنت تقويها بالشهوات، وتطعمها الملذات، وتحقق لها جميع الرغبات، وتريحها من القيام بالواجبات، حتى تخرج عن طاعتك، وتغلبك على أمرك؟ إذا فعلت معها ذلك فأنت جاهل بأمرها، غير خبير بشأنها، لا تحسن سياستها؛ لأنك إذا أعطيت نفسك كل ما تشتهى وتطلب من الملذات والمآكل كنت كمن وجد فى بيته حية، فأخذ يسمنها كل يوم حتى تثور عليه وتقتله.

ولو جعل الله فيك الروح من غير نفس، لأطعت وما عصيت، ولو جعل فيك النفس من غير روح ـ أى عقل ـ لعصيت وما أطعت؛ لذلك جعل فيك القلب، والروح، والنفس، والهوى، كالنحلة جعل فيها اللسعة، والعسل، فلذلك تتلون، فالعسل ببره، واللسع بقهره.

فأراد الله تعالى أن يكسر دعوى النفس بوجود القلب، ودعوى القلب بوجود النفس، من صحبك يومًا أو يومين ولم ير منك نفعًا تركك وهجرك، وصحب غيرك، وأنت تصحب نفسك أربعين سنة، ولم تر منها نفعًا لك، أفلا تهجرها؟

فانها يا أخى وأنت عابس غاضب، وقل لها: ارجعى يا نفس إلى مرضاة ربك، طالما وافقتك فى طلب الشهوات، فوافقينى فى عمل الطاعات، ويتدلى بعد البطالة بالاشتغال بذكر الله، وخدمة المولى، وبعد الكلام اللغو بالصمت، وبعد الوقوف فى الحارات الجلوس فى الخلوة، وبعد الأنس بالمخلوقين الأنس بالخالق، وبعد التلذذ بالحب والغناء، التلذذ بسماع القرآن الكريم وتلاوته. وبعد مصاحبة قرناء السوء، معاشرة أهل الخير والصلاح.

يا هذا.. إن أردت أن تحاسبها وتروضها، فاجعل أحوالك على ضد ما كنت عليه، فاجعل بعد السهر فى معصية الله، السهر فى طاعته، وبدل الإقبال على أهل الدنيا، الإعراض عنهم والإقبال على الله، وبعد النشاط فى خدمتهم، النشاط فى خدمة الله، وبعد الإصغاء لكلامهم والاستماع إليهم الإصغاء لكلام الله والاهتمام به، وبعد قطع الوقت فى الغيبة وذكر أحوال الناس، الإكثار من التوبة والاستغفار، وبعد الأكل بالشره والشهوة، الأكل القليل الذى يعينك على العبادة، ويساعدك على القيام بواجبات الحياة، فتأكل متعبدًا، لا مشتهيًا شرها، وتلبس تحدث بنعمة الله بعد أن كنت تلبس الثياب للتفاخر والشهرة، تنكح الزوجة لتعف نفسك عن النظر إلى النساء، وتعف زوجتك عن الحرام، وطمعًا فى الذرية الصالحة، بدل أن كنت تجامعها لشهوة وطاعة الهوى، وتطلب العلم لتنفع به نفسك، وتعلمه غيرك ابتغاء مرضاة الله، بدل أن كنت تطلبه للدنيا والشهرة والغلبة، حتى تنقلب العادة عبادة، وتصبح ربانيًا فى كل عمل

على كل حال، قال تعالى: (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ) [1].

كنت يوما عند الشيخ أبى العباس المرسى رحمه الله، فقلت فى نفسى أشياء لم أحدثه بها، فقال الشيخ: إن كانت النفس لك فاصنع بها ما شئت، ولن تستطيع ذلك. ثم قال: النفس كالمرأة كلما أكثرت خصامها أكثرت خصامك، فسلمها إلى ربها يفعل بها ما يشاء، فربما تعبت فى تربيتها ولم تنقد لك لأنها جامحة، فالمسلم من أسلم نفسه لخالقها قال تعالى: (إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ) [2].

وإياك يا أخى.. أن تخدع وتسلم قلبك إلى نفسك، وتنقاد وراءها فتوردك المهالك، ومثال القلب إذا سلمته إلى النفس، كمن تعلق بغريق فى اليم فغرق كل واحد منهما، ومثال النفس إذا سلمتها للقلب، كمن أسلم نفسه إلى عوام ماهر، فسبح بها، حتى أخرجها إلى البر سالمة، وسلمها له صحيحة.

---

(١) آية ٦٩ من سورة العنكبوت.

(٢) من آية ١١١ من سورة التوبة.

فلا تكن يا أخى ممن أسلم قلبه لنفسه، فهل رأيت بصيرًا سلم نفسه إلى أعمى يقوده؟ يا عبد الله إن من وكل وكيلاً، واطلع على خيانته عزله، وكذلك نفسك، قد اطلعت على خيانتها وغدرها فاعزلها وخاصمها، وضيق عليها المسالك، وقف أمامها وقفة الحازم الصارم؛ حتى تردعها عن غيها.

إذا اطلعت على زوجتك بخيانة فى عرضك، فإنك تغضب عليها، وتطردها من بيتك، فكذلك نفسك، قد خانتك فى عمرك، وهو من أغلى الأشياء لديك، وضيعته فى المعصية، وأجمع العقلاء على أن الزوجة إذا خانت لا يأويها زوجها بعد ذلك، بل يطلقها، فاطرد نفسك، وطلقها طلاقًا بائنًا لا رجعة فيه، وخاصمها خصامًا صارمًا لا صلح بعده.. سئل رسول ﷺ ما أكثر ما يدخل الناس الجنة؟ فقال عليه الصلاة والسلام: "تقوى الله وحسن الخلق"، فقيل له: فما أكثر ما يدخل الناس النار؟ فقال عليه الصلاة والسلام: "الأجوفان: الفم، والفرج".

فاعرف كمائن نفسك، وابحث عن دخائلها، واحترس منها، لا تثق بها، إذا قالت لك: تزور فلانًا، فتمهل وفكر، لم طلبت منك هذا؟ فربما ذهبت إلى النار تتأجج فيها، وترمى نفسك عمدًا

عليها. واعلم أن أصل كل معصية وغفلة الرضا عن النفس وطاعتها، وأن أصل كل طاعة ويقظة هو عدم الرضا عنها ومخالفتها، وما شأن نفسك وقت الرضا إلا كالبعير المعقول، فإذا سيبته انطلق، ولكن ما أرخص نفسك عليك، لولا هوانها عليك، واحتقارك لها، لما عرضتها لعذاب الله وما أغلاها فى طلب الدنيا وجمعها، تخاف عليها من المهالك، ولا تعرضها للأخطار.

الناس يمدحونك بما يظنون فيك، فكن أنت ذامًا لنفسك، لما تعلم منها، فإن أجهل الناس من ترك يقين ما عنده لظن ما عند الناس، ومن لم يلزم نفسه لزمته، ومن لم يطالبها طالبته، فلو جعلت عليها الاشتغال بالطاعة، لما طالبتك بالمعصية، ولما كانت تتفرغ لها، وتفكر فيها، وهل رأيت الصالحين والعباد، يتفرجون فى الأعياد؟ فمن شغل نفسه بالمباحات والسهرات شغل عن قيام الليل، فيقال له: شغلتك حظوظ نفسك عنا، فشغلناك عن عبادتنا.

واعلم أن الثكلى لا عيد لها، بل العيد لمن قهر نفسه، وأوقفها عند حدود ربها، لا عيد إلا لمن جمع شمله، وعرف ربه، وأمات نفسه.

مر بعضهم على دير راهب، فقال له : يا راهب: متى عيد هؤلاء القوم؟ أى المتعبدون، فقال لهم: يوم يغفر لهم. ومر الحسن البصرى - رحمه الله - بشاب وهو مستغرق فى الضحك مع جلسائه فقال له: يا فتى هل مررت بالصراط؟ قال: لا، قال: فهل تدرى إلى الجنة تصير أم إلى النار؟ قال: لا، قال: فعلام هذا الضحك إذن؟، قيل: فما رؤى الفتى بعدها ضاحكًا إلا بعد موته؛ لأنه أنب نفسه ووبخها، ولبث فى الحزن حتى لقى ربه مؤمنًا.

وأنت يا أخى.. تقهقه بالضحك، وتذهب إلى المراقص والملاهى، وتشاهد الخيالة والتمثيل، وتفرح وتمرح، وتلهو وتلعب، وكأنك جاوزت الصراط، وعبرت نار جهنم، وظفرت بالمغفرة، ونجوت من الحساب، عن الشيخ مكين الدين الأسمر[1] -رحمه الله ـ أنه قال: كنت فى بداية الأمر أحاسب نفسى عند المساء، فأقول: تكلمت اليوم بكذا وكذا، فأجد ثلاث كلمات أو أربعًا، فأستغفر الله وأتوب منها.

---

(١) له مقام معروف فى الإسكندرية بجوار مقام سيدى أبو العباس المرسى.

العزلة[1]

هذا زمان الاجتماع، قلما تجلس مجلسًا إلا وتعصى الله فيه، إن لم يكن بارتكاب ذنب، فبالغفلة والإعراض عن الله.

وكثير من السلف الصالح - رضى الله عنهم - آثروا الجلوس فى بيوتهم يشتغلون بطاعة الله وعبادته، وتركوا كثرة مخالطة الناس، لما فشى فيهم من المنكرات، فإن طالبتك نفسك بالخروج إلى المجتمعات، فاشغلها فى القعود فى الدار بشىء من الطاعة، إلا إذا كان فى الخروج أمر بمعروف، أو نهى عن منكر، أو سعى على المعيشة، أو قضاء حوائج المسلمين وجلب النفع لهم، فلا تتأخر حين ذاك؛ لأنه نوع من العبادة تؤجر عليه، وتثاب من أجله.

وقد كان بعضهم لا يخرج لصلاة الجماعة لما يعرض له فى طريقه من البدع والمنكرات، منهم الإمام مالك بن أنس ﷺ لأن الجماعة ربح، والربح لا يحسب إلا بعد الإحاطة على رأس المال،

---

(١) لا يقصد الشيخ العزلة أن يهرب الشخص من الناس، وأن ينقطع للعبادة ويترك الدنيا، فلا رهبانية فى الإسلام، ولكنه يريد العزلة الروحية، التى يفر بها المرء إلى نفسه ليحاسبها ويقومها، وإلى أعماله فيزنها بميزان الشرع، وإلى عقيدته يفكر فيها ويتدبرها، وإلى ربه يدعوه ويتضرع إليه.

ويقولون: ليست السباع فى البرية، بل السباع فى الأسواق والطرقات وهى الموبقات التى تنهش قلوب المؤمنين نهشًا.

فعليك بالخلوة والعزلة متى استطعت إلى ذلك سبيلاً، فمن كانت العزلة دأبه، كان العزُّ له، ومن صدقت عزلته، وصرفها فى طاعة ربه ظفر بمواهب الحق له بالمنن، وعلامة ظهور المنن عليه، كشف الغطاء، وإحياء القلب، وتحقيق المحبة، والغيرة على دين الله وشرعه، والمحافظة على حدود الله تعالى.

فيا عبد الله غيب نظر الخلق إليك، بنظر الله إليك، وغب عن إقبالهم عليك، بشهود إقباله عليك، ومتى أوحشك الله من خلقه، فاعلم أنه يريد أن يفتح لك باب الأنس به، وما سلط عليك ألسنة العباد، إلا لترجع بالتوبة إليه، ولو انقطعت عن الخلق، لفتح لك باب الأنس به تبارك وتعالى؛ لأن الأولياء قهروا أنفسهم بالخلوة والعزلة، وفطموها عن شهوات الحياة الدنيا، وأدبوها بالعفة والقناعة، والاستغناء بالحلال الطيب عما فى أيدى الناس، وذبحوا شهوات الطمع والشهرة بسكين الخوف، فسمعوا من الله،

وأنسوا به، وتلذذوا بمناجاته وفازوا بمتعة القرب منه عز وجل، قال تعالى: ﴿وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾ [1].

فإن أردت أن تستخرج مرآة قلبك من الأكداد، فارفض ما رفضوا، وهو الأنس بالخلق، والإكثار من مخالطتهم، ومشاركتهم فى لغو القول وضلال العمل، ولا تقعد على أبواب الطرق، والشوارع والحارات لانتقاد عباد الله.

فمن استعد استمد، وإذا هيأ لك الاستعداد فتح لك باب الاستمداد، ولكن الكلاب لا ترقد فى المنازل، بل ترتمى على الأكوام والمزابل.

وإذا أردت أن يكون لك نصيب مما لأولياء الله تعالى، فعليك برفض الناس جملة، ولا تتعرف إلا لمن يدلك على الله بحاله ومقاله، ويأخذ بيدك إليه، إما بإشارة صادقة، وإما بأعمال ثابتة، لا ينقضها كتاب ولا سنة[2].

---

(١) آية ١٩ من سورة العلق.

(٢) قال تعالى فى سورة الكهف ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾.

أف لعبد يعلم إحسان المحسن فيجترئ على معصيته، ولكن ما عرف إحسانه من آثر عصيانه، وما عرف قدره من لم يراقبه فى خلوته، وما ربح من اشتغل بغيره، وعلم أن النفس تدعوه لهلاكه فتبعها، وعلم أن القلب يدعوه إلى الرشد فعصاه، وعلم قدر المعصى فواجهه بالمعصية، ولو علم قرب مولاه، وأنه مطلع عليه ويراه، لما سارع إلى ما عنه نهاه.

قلب المؤمن

القلب شجرة تسقى بماء الطاعة، وثمراتها مواجيدها، فالعين ثمرتها البكاء من خشية الله، والأذن ثمرتها الاستماع للقرآن والعلم، واللسان ثمرته الذكر والقول الحسن، واليدان والرجلان ثمرتها السعى فى فعل الخيرات وعمل الطاعات، ومساعدة خلق الله، فإذا جف القلب، سقطت ثمراته، وحرم من منافعها.

فإذا أجدب القلب فأكثر من الأذكار، وطف على مجالس أهل الورع والحكمة، ولا تكن كالعليل، يقول: لا أتداوى حتى أجد الشفاء، وأضمن ذهاب المرض فيقال له: لا تجد الشفاء حتى تتداوى ولا تضمن ذهاب العلة إلا بعد الأخذ بالأسباب، فالجهاد ليس معه حلاوة، ما معه إلا رءوس الأسنة، وإراقة الدماء، فجاهد نفسك فى الطاعة فهذا هو الجهاد الأكبر.

مثال القلب كالمرآة، ومثال النفس كالنفس؛ كلما تنفست النفس على المرآة تسودت، واختفت نضارتها، وقلب العاجز كمرآة العجوز الفانية التى ضعفت همتها أن تجلوها، وأهملتها فلا تنظر فيها، حتى انطمس وجهها.

وقلب العارف كمرآة العروس الحسناء، كل يوم تنظفها، وتنظر فيها، فلا تزال مصقولة.

قال رسول الله ﷺ: "لَقلب ابن آدم أشد تقلبًا من القدر على النار إذا غلت".

فكم من مؤمن كان قلبه في جمع مع الله تعالى، أتته الفرقة في نفس واحد، وكم من عابد بات في طاعة الله، ما طلعت عليه الشمس حتى دخل في القطيعة.

وكان من دعائه ﷺ: "يا مثبت القلوب والأبصار، ثبت قلبي على دينك وطاعتك".

فالقلب بمثابة العين، والعين لا ترى بها كلها، بل بمقدار العدسة منها.

وكذلك القلب؛ لا يراد منه اللحمانية، بل اللطيفة التي أودعها الله فيه، وهي المدركة، وجعل الله القلب معلقًا في الجانب الأيسر، كالدلو، فإن هب عليه هوى الشهوة حركه، وإن هب عليه خاطر التقوى حركه، فتارة يغلب عليه خاطر الهوى، وتارة يغلب عليه خاطر التقى، حتى يعرفك مرة منّه، ومرة قهرَه، فمرة يغلب عليه خاطر التقى ليمدحك، ومرة يغلب عليه خاطر الهوى

ليذمك، والقلب بمثابة السقف للمنزل، فإذا أوقدت فى البيت نارًا، صعد الدخان إلى السقف فسوده.

كذلك نار الشهوة إذا أشعلت فى البدن، صعد دخان الذنوب إلى القلب فسوده، حتى يكون غلافًا على صفحة قلبه.

وإذا أردت يا أخى أن تصقله، وتعيده إلى صفائه ورونقه، وترفع عنه الصدأ، فعليك بأربع خصال تعينك على جلاء قلبك وصقله.

وهى:

١ ـ كثرة الذكر، وتلاوة القرآن.

٢ ـ لزوم الصمت، وقلة الكلام.

٣ ـ الخلوة لمناجاة الملك العلام.

٤ ـ قلة الشرب والطعام.

وقد قيل أربعة يُـمِتْن القلوب:

١ ـ مجالسة الأغنياء.

٢ ـ ومحادثة النساء.

٣ ـ وقلة الذكر.

٤ ـ وكثرة الطعام.

وإذا أردت تنظيف الماء، قطعت عنه الخبائث التي تنجسه، وجوارح الإنسان كالسواقى تجرى إلى القلب، وتصب فيه. فإياك أن تسقى قلبك بالردىء؛ كالغيبة والنميمة، وفحش القول، وسماع المحرم، والنظر إلى ما لا يحل، وأكل السحت الحرام، وغير ذلك، فإن القلب لا يحجبه ما خرج منه، وإنما يحجبه ما حل فيه.

واستنارة القلب وضياؤه بأكل الحلال، والمداومة على الأذكار والتدبر فى تلاوة القرآن، ومجالسة أهل العلم والإيمان، وحفظه عن النظر إلى الكائنات المباحات، والتعفف عن المحرمات والمكروهات، والخوف من الموبقات، فاحفظ ضياء قلبك يا أخى، ولا تطلق صائد بصرك إلا لمزيد علم أو حكمة، ومن أراد أن ينظر إلى أمثلة القلوب، فلينظر إلى الديار التى فى بلده، فدار خربت وبقيت مزبلة للأقذار، ودار خربت وأصبحت مباءة للحيات والهوام، ودار خرج منها الضوء وحل فيها الظلام، ودار تنعق فيها البوم والغربان، ودار عامرة بأهلها تفوح منها الرياحين والأزهار، وتتلألأ فيها الثريات والأنوار.

فانظر فى قلبك لتعرف من أى هذه الأنواع، حتى تكون على بينة من أمره، وإذا طلبت قلبك عند الصلاة، أو عند تلاوة

القرآن، أو عند الذكر، أو عند الخلوة فلم تجده حاضرًا، فابك على نفسك، واحث التراب على رأسك [1]، واطلب من الله ﷻ وقت السحر أن يرزقك قلبًا خاشعًا، واعلم أن من مرض قلبه بالمعاصي والنفاق، لم يلبس لباس التقوى، فلو صح قلبك من أمراض الهوى والشهوة، لتحملت أثقال التقوى.

وقد سمى الله تعالى الشهوة مرضًا بقوله: (فَيَطْمَعَ الَّذِى فِى قَلْبِهِ مَرَضٌ) [2]، وسمى النفاق مرضًا، فقال تعالى: (فِى قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا) [3].

ولك فى علاج القلب المريض طريقان:

الأول: استعمال ما هو نافع لك وهو الطاعة.

والثاني: اجتناب ما هو ضار بك، وهو المعصية، كالمريض يأخذ الدواء، ويبتعد عن الطعام، حتى يتم علاجه، فإذا فعلت ذنبًا وأعقبته بالتوبة والندم والانكسار، كان ذلك سبب صلتك

---

(١) قال تعالى: (صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ) من آية ١٢٧ من سورةالتوبة.

(٢) من آية ٣٢ من سورة الأحزاب.

(٣) من آية ١٠ من سورة البقرة.

بالله تعالى. وإن فعلت طاعة كالحج مثلاً فأعقبتها بالعجب والفخر والكبرياء.. كان ذلك سبب القطيعة عنه، والعياذ بالله، ولا موصول إلا من وصله الله، ولا مقطوع إلا من قطعه ربه ومولاه.

عجبًا لك يا أخى.. كيف تطلب صلاح قلبك من الله، وجوارحك تفعل ما شاءت من المحرمات والذنوب؟، فمثالك كمن يتداوى بالسم، أو كمن يتعاطى الدواء والثعابين تلدغه، أو كمن أراد تنظيف ثوبه بالبول والنجس، ويلقى عليه السواد.

فمن أشغل قلبه بالله تعالى، وعالجه مما يطرأ عليه من الهوى والشهوة، كان أفضل ممن يكثر من الصلاة والصوم، وقلبه مريض، قال تعالى: (وَأَمَّا الَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ) [1].

ومن شغل قلبه بالدنيا، وملأه بحبها، كان كمن بنى منزلاً حسنًا، وجعل فوقه مرحاضًا يرشح عليه، فلا يزال كذلك حتى يتلطخ البناء بالقذارة، ويرى ظاهره كباطنه، كذلك أنت فى

(١) من آية ١٢٥ من سورة التوبة.

حضرة الله سبحانه وتعالى، وقلبك ملوث بالمعصية، تأكل الحرام، وتنظر المحرم، وتضمر السوء، وتعتقد أنك من العباد الصالحين.

فمن يفعل المحرمات، ويرتكب المعاصي، يظلم قلبه، وتنطمس بصيرته، فبادر يا هذا إلى طهارة قلبك وتنقيته بالتوبة، والأذكار، والندم، والاستغفار، وإن لم تتب في حال صحتك، ربما ابتلاك الله بالأمراض والمحن، حتى تخرج من الدنيا نقيًا من الذنوب، مغسولاً من الخطايا، كالثوب إذا غسل بالماء.

فداوم على التوبة والاستغفار، وليكن قلبك مشغولاً بالذكر، فيُتبع لك الأنوار، فلا تكن كمن يريد أن يحفر بئرًا ليخرج الماء، فيحفر ذراعًا هنا، وذراعًا هناك، فلا ينبع له ماء أبدًا، بل احفر في مكان واحد، وجد في طلبك حتى ينبع الماء، واعلم أنه ما خرب القلوب إلا قلة الخوف وعدم الخشية من الله ﷻ، والقلب العامر الحسن، هو الذي لا يشغله عن الله قبيح ولا حسن. وإذا أردت شفاء قلبك من مساوئه وغفلته فاهجر عالم الأشباح، واخرج إلى صحراء التوبة، والبس ثياب الندم، وارفع راية الذلة، واترك مضاجع النوم، وحول حالك من الغيبة إلى الحضور، ومن اللهو إلى الجد، واطعم الفقراء والمساكين، وعود

قلبك الشفقة والرقة، وأكثر من البكاء، وداوم على الدعاء خوفًا وطمعًا، فعسى أن يوهب لك الشفاء.

ولكنك يا أخى تهتم بالطعام، وتبحث عن أجوده، وتحشو بطنك منه، وتتفاخر بالجمال والسمن، فمثالك كالخروف الذى يسمن للذبح والطعام، ألا فقد ذبحت نفسك، وأنت لا تشعر، إنما الأنوار مطايا القلوب والأسرار، النور جند القلب، كما أن الظلمة جند النفس، فإذا أراد الله أن ينصر عبده على شهوته، أمده بجنود الأنوار، وقطع عنه مدد الظلم والأغيار.

النور له الكشف، والبصيرة لها الحكم، والقلب له الإقبال والإدبار، الأكوان ظاهرها غرة، وباطنها عبرة، فالنفس تنظر إلى ظاهر غرتها، والقلب ينظر إلى باطن عبرتها، فرغ قلبك من الأغيار، تملؤه بالمعارف والأسرار.

يا عبد الله .. دينك هو رأس مالك فى الحياة، فإن أضعت رأس مالك، فاشغل لسانك بذكره، وقلبك بمحبته، وجوارحك بخدمته، واحرث وجودك بالمحاريث، واعرض قلبك على العلماء العاملين حتى يجيء البذر، وينزل الغيث فينبت، ومن فعل بقلبه كما يفعل الفلاح بأرضه، استنار قلبه بنور الإيمان والحكمة.

العمر

أنشد أحد الشعراء فقال:

إذا العشرون من شعبان ولت فواصل شرب ليلك بالنهار
ولا تشرب بأقداح صغار فقد ضاق الزمان على الصغار

ومعناه عنده : إذا مضى عشرون يومًا من شهر شعبان فقد قرب شهر رمضان، وهو يحرمه من الشراب والسكر، فيشرب الليل والنهار بأكواب كبيرة حتى يشبع بها قبل فوات الأوان.

ومعناه عند أهل العلم والحق: إذا خلفت أربعين سنة من عمرك وراء ظهرك، فانتبه من غفلتك، وواصل العمل الصالح بالليل والنهار، ولا تهمل لحظة من عمرك؛ لأن العمر قد ولى، والزمان قد ضاق، ولقاء الله قد قرب.

وليس عمل فى الكبر كعمل من كان شابًا، ولم يضيع شبابه ونشاطه وقوته، فلا يزال له من الوقت فرصة.

أما أنت فقد أضعت شبابك، وقطعت المرحلة الكبيرة من أجلك فى خدمة الدنيا، واللهو واللعب، والإعراض عن طاعة ربك ومولاك، ولو أخرت العمل جاءك الهرم فأفسد عقلك وأعضاءك، فإذا أردت الجد فى العمل لا تساعدك القوى، ولا

تطاوعك الجوارح، فخذ من شبابك لهرمك ومن فراغك لشغلك، ومن حياتك لموتك، واغتنم أيام الصحة والعافية، واشغل أوقاتك كلها بذكر الله وطاعته، وداوم على خدمته وعبادته.

قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ) (1).

واعمل يا عبد الله قدر استطاعتك، ومع الأيام الباقية من الأجل بالذكر والاستغفار، مع الخوف والخشية، فإنه لا شيء أسهل منه فى العبادة، يمكنك أن تؤديه فى حال القيام والقعود، والاضطجاع، ووقت الشغل والمرض، فهذا أسهل العبادات عليك، وهى العبادة التى قال فيها رسول الله ﷺ: "وليكن لسانك رطبًا بذكر الله"، فعن عبد الله بن بسر ﷺ أن رجلاً قال: يا رسول الله إن شرائع الإسلام قد كثرت، فأخبرنى بشىء أتشبث به، فقال له الرسول ﷺ: "لا يزال لسانك رطبًا بذكر الله". والمعنى اجعل الذكر كثير المرور على لسانك، لا يغفل قلبك عن ذكر الله لحظة؛ حتى يكون اللسان مبللاً رطبًا من دوام الذكر والاستغفار.

---

(1) آية ١٠٢ من سورة آل عمران.

وأى دعاء أو ذكر سهل عليك فواظب عليه، فإن مدده من الله ﷻ فما ذكرته إلا ببره، وما أعرضت عنه إلا بسطوته وقهره سبحانه وتعالى، فاعمل واجتهد فى العمل، وثابر على الذكر فى جميع أحوالك، حتى يفتح عليك، واعلم أن الغفلة فى العمل، خير من الغفلة عن العمل وإهماله.

والطالب المحتاج لا ينقطع عن السؤال، ولا يترك الوقوف على الأبواب، بل تجده دائمًا واقفًا عليها، يلح فى سؤاله وطلبه، فقف أنت دائمًا على أبواب مولاك بالذكر والطاعة، وأكثر من الدعاء والاستجداء، فإن الله يحب عبده اللحوح، ويكره المعرض المتكبر، قال تعالى: (وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِى أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ) [1].

وما مثال طالب المغفرة، إلا مثال الثكلى التى مات ولدها، وتراكم حزنها، أتراها تحضر الأعراس وتشهد الأفراح، وتذهب إلى الولائم، وتشارك الناس فى السرور والبهجة؟ كلا.. بل هى

(١) آية ٦٠ من سورة غافر.

مشغولة بفقد ولدها تفكر دائمًا فيه، فكذلك المحروم من الرحمة، لا يفكر إلا فى مرضاة ربه جل جلاله.

فيا أخى: اغتنم أوقات الطاعات، واصطبر عليها، وأخلص فى أدائها، وإن أردت أن تعصيه فاترك أرزاقه ونعمه واستغن عنها، وافعل ما بدا لك، فهل يصح لك أن تأخذ نعمه تتمتع فيها، وتعصيه بها؟ ومثالك كالذى يجلس على مائدة السلطان، يأكل منها ويشتمه عليها، ويخرج عن طاعته، ولن تستطيع أن تستغنى عن نعمه؛ لأن الكل منه وإليه، والملك له.

وكل ما فى السماوات وما فى الأرض من جوده وكرمه، فهل يصح أن ترتع فى الماء والهواء، وتمرح فى الصحة والعافية، وتتلذذ بخيراته ونعمه، وتقاطعه وتخاصمه؟ بل تفننت فى المخالفات، ففى كل ساعة ترتكب نوعًا من المنكرات، وما تبنيه فى سنين كثيرة، تهدمه فى دقيقة واحدة.

فإن كنت أطلقت سمعك، وبصرك، ولسانك وجوارحك برهة من عمرك، فاستح من ربك، واندم على ما فرطت فى جنبه، وقيد الآن ما أطلقت من جوارحك، واستخدمها فى طاعة

الله بعد أن استخدمتها فى معصيته، حتى تتلذذ بالطاعة، بعد لذة المعصية.

يا هادم الطاعات، ما سلط الله عليك الفاقة وقلة المال، إلا لترفع حاجتك إليه، وتتجمع عليه، وتكثر من ذكره، وتلح فى سؤاله، وتتذكر حمده وشكره، وفاقة تجمعك على الله خير من غنى يقطعك عنه.

أيها الشيخ قد أفنيت عمرك، فاستدرك ما فاتك بعمل الخير، قد لبست البياض ؛ وهو الشيب، والبياض لا يحمل الدنس، ومن علم قرب رحيله، أسرع فى تحصيل الزاد، ومن علم أن إحسان غيره لا ينفعه، جد فى الإحسان لنفسه، ومن أخرج ولم يحسب، خسر ولم يدر.

واعلم أن عمرًا يضيع أوله حرى أن تحفظ آخره، كامرأة لها عشرة أولاد مات منهم تسعة وبقى واحد، أليست ترد وحدها على ذلك الواحد؟

وأنت قد ضيعت أكثر عمرك، فاحفظ بقيته، وهى صبابة يسيرة، والله ما عمرك من أول يوم ولدت فيه، بل عمرك من أول يوم عرفت الله تعالى فيه، فلا تنفق أنفاسك فى غير طاعة الله

تعالى، فإنها ذهب ولآلئ، وهل يليق بعاقـل أن يلقـى اللؤلـؤ فـى الطرقات، ويرميه على المزابل؟

فيا أخى: احرص على الحضور فى مجالس العلم بالمسـاجد؛ ليتوفر عقلك، وإن كان عمرك قليلاً، يصير كثيرًا؛ لحصول الإيمان والخشية والتدبر والتذكر.

الصلاة

الصلاة محل المناجاة، ومعدن المصافاة، يتسع فيها ميادين الأسرار، وتشرق فيها شوارق الأنوار، فإن أردت أن تعرف نفسك فكلها بالصلاة، وزنها بميزانها، فإن انتهت عن الحظوظ الدنيوية، فاعلم أنك سعيد، وإلا فابك على نفسك، إذا جررت رجليك إلى الصلاة جرًا، فاعلم أنك لم تدرك سر الصلاة فهل رأيت حبيبًا لا يريد لقاء حبيبه؟

قال تعالى: (إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ)[1]، فكل صلاة لا تنهى صاحبها عن الفحشاء والمنكر لا تسمى صلاة، ولا تعتبر عند الله، قال رسول الله ﷺ: "من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر، فليست صلاته بصلاة".

وأنت تخرج من الصلاة، ومن مناجاة الحق سبحانه بقوله تعالى: (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ)، ومن مناجاة الرسول ﷺ بقولك: السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته، وتفعل هذا

(١) من آية ٤٥ من سورة العنكبوت.

فى كل صلاة، ثم تخرج إلى الذنوب، وتعود إليها، بعد هذه النعم التى أنعم الله بها عليك.

ومن أراد أن يعرف حقيقته عند الله، وينظر حاله مع ربه، فلينظر إلى صلاته، فهو يؤديها إما بالخشوع والسكون، وإما بالغفلة والعجلة، فإن لم تكن بالوضعين السابقين، فاحث التراب على رأسك ندمًا وحسرة، فإن من جالس صاحب المسك عبق عليه من ريحه، والصلاة مجالسة لله ، فإذا جالسته ولم يحصل لك منه شيء ، دل ذلك على مرض فيك، وهو إما كبر، أو عدم أدب قال تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ (1).

ولا ينبغى لمن صلى أن يسرع الخروج من المسجد، بل يذكر الله تعالى عقب صلاته، ويستغفره من تقصيره فيها، فرب صلاة لا تصلح للقبول، فإن استغفرت الله تعالى بعدها قبلت.

وقد كان رسول الله ﷺ إذا صلى استغفر الله ثلاث مرات. روى أن ثوبان ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ إذا انصرف من صلاته

---

(1) من آية ١٤٦ من سورة الأعراف.

استغفر الله تعالى ثلاثًا، وقال: "اللهم أنت السلام، ومنك السلام، تباركت يا ذا الجلال والإكرام"[1].

مثال من أدى الصلاة بغير اطمئنان وخشوع قلب وحضور فكر، كمن أهدى للملك مائة صندوق فارغة، فيستحق العقوبة عليها من الملك، ويذكره بها دائمًا؛ لأنه فارغ العقل، ناقص التفكير. ومن صلاها باطمئنان وحضور قلب، كان كمن أهدى للملك ياقوتة ثمينة تساوى ألف دينار، فإن الملك يفرح بها، ويكافؤه عليها، ويذكره دائمًا بها؛ لأنه ذكى الفؤاد، كامل التفكير، عالى الهمة.

يا عبد الله: إذا دخلت الصلاة فإنك تناجى ربك، وتكلم رسول الله ﷺ لأنك تقول: السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته، ولا يقال: أيها الرجل عند العرب إلا لمن يكون حاضرًا بالمجلس، فاستحضر عظمته فى ذهنك.

يا هذا.. تختار لنفسك الطيبات من الطعام، بل تنتخب لدابتك العلف الجيد، وتعامل الله بالردئ والمجازفة، وربما قلبت

---

(١) رواه مسلم.

عشرين بطيخة حتى تصلح لك واحدة لتأكلها، ثم تلقيها فى بطن مرحاض، وتقعد على الأكل متربعًا شرهًا، وتطول فى أكلك وتطمئن، وإذا جئت إلى الصلاة تنقرها نقر الديكة؟، وتحل عليك الوساوس، وتتوارد عليك الخواطر الفاسدة فى صلاتك، ثم تخرج منها مسرعًا، وأنت لا تدرى أثلاثًا صليت أم أربعًا.

مثال من هذه حالته، كمن نصب نفسه للهدف، وتعرض لطعن الرماح، وقعد للسهام تقصده من كل جانب، أفليس هذا بأحمق؟

وإن أردت أن تعرف كيف تمر على الصراط يوم القيامة، فانظر حالتك فى الذهاب للصلاة فى المساجد، فيكون جزاء الذى يأتى المسجد قبل الأذان، أن يمر على الصراط كالبرق الخاطف، والذى يأتى فى أول الوقت يمر عليه كأجاويد الخيل المسرعة، والذى يأتى بعد الوقت كسلان يمر بطيئا على الصراط والنار تحرقه.

وها هنا صراط الاستقامة، لا يشاهد بالأبصار، ولكن تشاهده القلوب المستنيرة، والبصائر الطاهرة، قال تعالى: وإن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه، ولم يشر المولى فى كتابه العزيز بلفظ

الإشارة (هذا) إلا إلى موجود، فمن أضاءت له الطريق يتبعها، ومن كانت طريقه مظلمة، لم يشهدها، ولم يستطع السير فيها، فيبقى مكانه متحيرا.

روى أبو هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل أغنيائهم بنصف يوم، وهو خمسمائة عام"[1].

وذلك لأنهم سبقوا فى الدنيا بالعبادات، وحافظوا على حضور الجمعة والجماعات.

وأنت تترك الجماعة فى المسجد وتصلى وحدك منفردا وتنقرها نقر الديكة وتريد أن تنال القبول ويكتب لك الأجر الكامل مثل غيرك؟

وهل يهدى للملوك إلا ما حسن وانتخب واكتمل جماله، فما سبق الفقراء إلى الجنة إلا لأنهم سبقوا إلى خدمة المولى فى الدنيا، والمراد بالفقراء الصبر القانعين الذين صبروا على مر الفاقة وتحملوا نكبات الدهر بجلد وقوة، راضين محتسبين حتى إن الواحد منهم ليفرح بالشدة كما تفرح أنت بالرخاء والنعمة،

(١) رواه الترمذى وقال حسن صحيح

فدخول الفقراء الجنة يدل على حملهم على القناعة ورضاهم بها وحضهم عليها.

واعلم يا أخى أن ركعتين بالليل خير لك من ألف ركعة بالنهار، قال رسول الله ﷺ: "عليكم بصلاة الليل فإنها دأب الصالحين فيكم، وقربة إلى ربكم، ومكفرة للسيئات، ومنهاة عن الإثم". وأنت لا تصلى فى الليل ركعتين إلا لتجد ثوابهما فى ميزانك يوم الحساب.

وهل تشترى العبد إلا للخدمة، فهل رأيت عبدا يشترى ليأكل وينام.

وما أنت إلا عبد أوجدك الله لعبادته، وخلقك لطاعته، واشتراك لخدمته، قال تعالى: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ) [1].

(١) آية ٥٦، ٥٧، ٥٨ من سورة الذاريات.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾ (١).

عن الشيخ أبى الحسن الشاذلى ﷺ أنه كان يحضر عنده فقهاء الإسكندرية فجاءوا مرة مختبرين له، فتفرس فيهم، وقال: يا فقهاء هل صليتم قط؟، فقالوا: وهل يترك أحدنا الصلاة؟ فقال لهم: قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا إِلاَّ الْمُصَلِّينَ﴾ (٢)، فهل أنتم كذلك، إذا مسكم الشر لا تجزعون، وإذا مسكم الخير لا تمنعون؟، قال: فسكتوا جميعًا، فقال لهم الشيخ: ما صليتم هذه الصلاة قط.

---

(١) من آية ١١١ من سورة التوبة.

(٢) آيات ١٩، ٢٠، ٢١، ٢٢، من سورة المعارج.

العلم

اعلم رحمك الله تعالى أن العلم حينما ذكر فى كتاب الله العزيز، أو فى السنة المطهرة، وتكرر للأمر به، والحث عليه، والثناء على أهله، ورفع شأنه، وعلو قدره، ومضاعفة الأجر عليه، وشرف منزلته عند الله تعالى، إنما المراد به العلم النافع الذى يعرفك بالله تعالى وصفاته، ويبين لك أحكام الشريعة ويحملك على العمل الصالح، ويملأ قلبك بالخشية، ويغرس فيه المخافة من الله تعالى، قال تعالى: (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ) [1]، فبين الله تعالى أن العلم تلازمه الخشية، وتكتنفه المخافة، فالعلماء بالله هم أهل الخوف والخشية والحياء. وقال تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّدًا) [2]. وقال تعالى: (وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا) [3].

---

(١) من آية ٢٨ من سورة فاطر.

(٢) آية ١٠٧ من سورة الإسراء.

(٣) من آية ٧ من سورة آل عمران.

وقال تعالى: (وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا) [1]، وقال ﷺ: "العلماء ورثة الأنبياء".

إنما المراد بالعلم في هذه المواطن كلها وفي غيرها؛ العلم النافع، المقرب إلى الله تعالى، القاهر للهوى، القامع للشهوة، الرادع للنفس، الحامل على الطاعة، وترك المعصية، وذلك متعين بالضرورة؛ لأن كلام الله تعالى، وكلام رسوله ﷺ أجل من أن يحمل إلى غير هذا.

والعلم النافع هو الذي يستعان به على الطاعة، ويلزم الخشية من الله، والوقوف على حدوده تعالى، وهو علم الشرع والدين، ولكن من استرسل بإطلاق التوحيد، وادعى علم الحقيقة، ولم يتقيد بظواهر الشريعة، فقد قذف به في بحر الزندقة، فالشأن أن يكون العالم بالحقيقة مؤيدًا بالشريعة، مقيدًا بأحكامها، منفذًا لأوامرها.

وكذلك المحقق، فلا يكون منطلقًا مع الحقيقة، ولا واقفًا مع ظاهر إسناد الشريعة، (وكان بين ذلك قوامًا).

(١) من آية ١١٤ من سورة طه.

فالوقوف مع ظاهر الإسناد فسق، والانطلاق مع الحقيقة من غير تقييد بالشريعة تعطيل، ومقام الهداية فيما بين ذلك.

وكل علم تتوارد عليك فيه الخواطر، وتتبعها الصور، وتميل إليه النفس، وتتلذذ به الطبيعة، ويصرفك عن الله ﷻ فارم به وإن كان حقًا، ودع علوم الدين لأربابها، وخذ بعلم الله الذى أنزله على رسوله ﷺ، واقتد به صلوات الله وسلامه عليه، وبالخلفاء من بعده، وبالصحابة، والتابعين من بعدهم، وبالهداة إلى الله تعالى، والأئمة المبرئين من الهوى، والسلف الصالح، فإن تابعتهم تسلم من الشكوك، والظنون، والأوهام، والوساوس، والدعاوى الكاذبة المضلة عن الهدى.

وحسبك من العلم النافع، العلم بالوحدانية وصفات الله تعالى، ومن ثمرته محبة الله ومحبة رسوله ﷺ ومحبة الصحابة، واعتقاد الحق للجماعة، وإذا أردت أن يكون لك حظ من الولاية الحقة، فلا تصاحب إلا من يدلك على الله، ويرشدك إليه، ويقربك من رحمته وكرمه، وذلك إما بقول صادق، أو وعظ نافع، أو بأعمال ثابتة تظهر منه، لا تخالف الكتاب والسنة، ولا تعارض أحكام الشريعة، قال رسول الله ﷺ: "العلم علمان: علم فى القلب

فذاك العلم النافع، وعلم على اللسان فذاك حجة الله على ابن آدم"[1]. وما فائدة العلم إلا العمل به، والعلم من غير عمل كالشجر من غير ظل وثمر، فعدمه خير من وجوده.

ومثال العلم والعمل: كملك كتب إلى نائبه كتابًا، وأرسله إليه لينفذه، فما فائدة الكتاب أن يقبله ويقرأه فقط، وإنما فائدته تنفيذ ما فيه، والعمل به، ومثال من يشتغل بالعلم، وليس له بصيرة، يهتدى بها إلى الرشد والصواب، كمثل مائة ألف أعمى سلكوا طريقًا متحيرين فيها، فلو كان فيهم رجل واحد بعين واحدة لتبعه الناس أجمعون، وتركوا مائة ألف أعمى، ومثال العلم مع ترك العمل: كالشمعة تضىء للناس بإحراق نفسها، وعلم فيه الغفلة عن الله، الجهل خير منه.

فمن أثمرت جوارحه، فقد أمطر قلبه بالفكر ولسانه بالذكر، وعينه بالغض عن المحرم، وأذنيه بالاستماع إلى العلم والمواعظ، ويده بالانفاق فى سبيل الله، وقدماه بالسعى إلى عمل الخيرات، وفعل الطاعات.

---

(١) رواه الخطيب وابن عبد البر.

ميزان الفقراء

اعلم أن رفع الهمة عن الخلق، والتعفف عما عندهم، ورفع الحوائج إلى الله وحده، والتوكل عليه، هو ميزان الدراويش الفقراء، قال تعالى: (وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ) [1].

فيظهر الصادق بصدقه، والكاذب بكذبه، وقد ابتلى الله تعالى بحكمته، ووجود منته الفقراء غير الصادقين، بإظهار ما كمنوه من الرغبة، وفضح ما كتموه من الشهوة، ونشر ما أسروه من حب حكام الدنيا الفانية، والتكالب على جمعها، فابتذلوا أنفسهم لأبناء الدنيا مباسطين لهم، وموافقينهم على مآربهم، مدفوعين عن أبوابهم، مذلولين وراء شيعتهم.

فترى الواحد منهم يتزين كما تتزين العروس، اهتمامًا بمقابلتهم، يعتنون بإصلاح ظواهرهم؛ لينالوا الحظوة عندهم، ويغفلون عن إصلاح سرائرهم، ولقد وسمهم الحق وسمة كشف بها عوارهم، وأظهر أخبارهم وأحوالهم، فبعد أن كانت نسبتهم مع الله - أن لو صدقوا مع الله - فيقال له عبد الواحد، عبد

(١) من آية ٩ من سورة الرحمن.

الرحمن، فأخرج عن هذه النسبة، فصار يقال له: شيخ الأمير، وشيخ الوزير، وإمام السلطان.

أولئك هم الكاذبون على الله، الصادون العباد عن صحبة أولياء الله سبحانه وتعالى؛ لأن ما يشهده العوام من أحوالهم ينسبونه إلى كل منتسب إلى الله ـ عز وجل - صادق وغير صادق، فهم حجب أهل التحقيق، وسحب شمس أهل التوفيق، ضربوا طبولهم، ونشروا أعلامهم، ولبسوا ثيابهم المزركشة، وتيجانهم الكاذبة، يريدون الدنيا وزخرفها، فإذا وقعت الحملة ولوا على أعقابهم ناكصين.

يدعون العلم ولا يعرفونه، وينتسبون إلى العترة، وقرآن ربهم لا يحفظونه، وسنة نبيهم لا يتمسكون بها، وشرع رسولهم لا يفقهونه، ألسنتهم منطلقة بالدعوى، وقلوبهم خالية من القوى، وأعينهم تنظر إلى متع الدنيا، وأيديهم تمتد إلى الخلق، وأعناقهم مشرئبة إلى الجاه، ألم يسمعوا قوله تعالى فى كتابه الكريم: ﴿لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ﴾ [1].

---

(١) من آية ٨ من سورة الأحزاب.

وقوله عز وجل: (لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا) (1).

أترى إذا سأل الصادقين، أيترك المدعين من غير سؤال؟ لقد تثاقلوا عن العمل الصالح، وأهملوا باب الخدمة للمولى الكبير المتعال، ألم يسمعوا قوله تعالى: (وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) (2).

فهم في الظاهر يلبسون زي الصادقين، وينطقون بقول العارفين، ولكن أعمالهم أعمال الكاذبين المعرضين، وأفعالهم، أفعال المنافقين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

---

(1) آية ٢٤ من سورة الأحزاب.

(2) آية ١٠٥ من سورة التوبة.

أولياء الله تعالى

قال الله تعالى: (أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ لا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) (١).

اعلم أن أولياء الله هم الذين فروا بقلوبهم وعزائمهم من الدنيا، حتى وصلوا إلى حضرة القدس، وجلسوا على بساط الأنس، ولبسوا لباس التقوى، وفطموا أنفسهم عن شهوات هذه الحياة الدنيا، وزهدوا فى ملذاتها، وابتعدوا عن مظاهرها، وصاموا كل أيامهم عن حرماتها، وتجردوا من المظالم، واجتنبوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن، واقتنعوا بالحلال الطيب، وعفوا عن المكروه والمباح، وأقبلوا على طاعة الله بعزائم صادقة، وقلوب نقية طاهرة، وأرواح زكية صافية، ونيات سليمة خالصة، حتى أصبحوا محل المفاتحة، والمواجهة، والمجالسة، والمشاهدة، والملاطفة.

---

(١) آيات ٦٢ ـ ٦٣ ـ ٦٤ من سورة يونس.

ولما كانت المسافة بعيدة بين الأولياء والصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ جعل الله الكرامات لأوليائه جبرًا لما فاتهم من قرب المتابعة التامة لرسوله ﷺ فإن من الناس من يقولون: إن الأولياء لهم الكرامات، والصحابة لم يكن لهم ذلك، فالجواب على ذلك، أن الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ كانت لهم أكبر الكرامات وأعظمها بصحبتهم لرسول الله ﷺ وتضحيتهم بالمال والروح فى سبيل نصر دعوته، ونشر رسالته، وأى كرامة أعظم من هذا؟

فإذا رأيت وليًا لله تعالى، فلا يمنعك إجلاله من أن تقعد بين يديه مؤدبًا، وتتبرك به، واعلم أن السماء والأرض لتتأدب مع الولى الصادق، كما يتأدب معه بنو آدم.

وأكثر ما أوتى العباد من كثرة الكلام، وقلة الصمت، فلو تقربت إلى الله مخلصًا صادقًا، لسمعت مخاطبته على الدوام فى سوقك، وبيتك، ومسجدك، وخلوتك، ولكن من استيقظ شهد، ومن نام لم تسمع أذن قلبه، ولم تشهد بصيرته شيئًا؛ لأن حجاب المعاصى مرخى عليه.

ولو أن العباد فطنوا إلى نور الهداية، لم يقبلوا إلا على الله فى جميع أحوالهم، ولم يجلسوا إلا بين يديه، ولم يستفتوا غيره، لقوله ﷺ

للسائل: أستفت قلبك، وإن أفتوك الناس، وأفتوك؛ لأن الخواطر الإلهية تأتى من الله تعالى، فهى موافقة للشرع؛ لأنها إلهام من الله لعباده الصالحين الصادقين فى عبوديتهم له، وربما أخطأ المفتى، والقلب لا يخطئ، وهذا مخصوص بالقلوب الطاهرة النقية التى ملأ جوانبها نور الإيمان، وعلم اليقين، وإنما يستفتى عالم، ولا علم لمن غفل قلبه عن الله سبحانه وتعالى.

واحذر من أن تستهزئ بواحد، أو تعترض عليه، أو تقيس أحواله بأحوالك، أو تطبق أعماله على أعمالك، بل طبقها على الكتاب والسنة النبوية، فإن هؤلاء القوم قد جلسوا مع الله على حقيقة الصدق، وإخلاص الوفاء، ومراقبة الأنفاس مع الله، وسلموا قيادهم إليه، وألقوا أنفسهم سلمًا بين يديه، وتركوا الانتصار لأنفسهم حياء من ربهم، فكان هو المحارب عنهم لمن حاربهم، والغالب لمن غلبهم.

ولقد ابتلى الله هذه الطائفة بالخلق، خصوصًا ولا سيما أهل العلم منهم، فقل أن تجد منهم من شرح الله صدره للتصديق بولى معين، بل يقول لك: نعم إن الأولياء موجودون، ولكن أين هم؟ فلا يذكر له أحد إلا وأخذ يدفع خصوصية الله فيه، طلق اللسان

بالاحتجاج عاريًا من الصدق، فاحذر ممن هذا وصفه، وفر من مجلسه فرارك من الأسد.

قال الشيخ أبو الحسن ﷺ ليس الفقيه من فقأ الحجاب عينى قلبه، وإنما الفقيه من فهم سر الإيجاد، وأنه ما أوجده تعالى إلا لطاعته، ولا خلقه إلا لخدمته، فإذا فهم هذا كان هذا الفقه منه سببًا لزهده فى الدنيا، وإقباله على الآخرة، وإهماله لحظوظ نفسه، واشتغاله بحقوق سيده وخالقه، مفكرًا فى المعاد، قائمًا بالاستعداد، حريصًا على جمع الزاد، ذاكرًا ليوم التناد، قال رسول الله ﷺ: "المؤمن القوى خير عند الله من المؤمن الضعيف وفى كل الخير"[1].

والمؤمن القوى هو الذى أشرق فى قلبه نور اليقين، قال تعالى فى كتابه العزيز: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾[2] سبقوا إلى الله فخلص قلوبهم مما سواه، فلم تعقهم العوائق، ولم تشغلهم عن الله الخلائق، فسبقوا إلى الله

(1) رواه مسلم.
(2) آيات ١٠، ١١، ١٢ من سورة الواقعة.

مسرعين إذ لا مانع لهم، وإنما منع العباد من السبق جوانب التعلق بغير الله، والتوكل على سواه.

فكلما همت قلوبهم أن ترحل إلى الله، جذبها ذلك التعلق الذى تعلقت به، فكرت راجعة إليه، مقبلة عليه، فالحضرة مع الله محرمة على من هذا وصفه، وممنوعة على من هذا نعته، وافهم ها هنا قوله تعالى: (يَوْمَ لا يَنْفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ) [1].

والقلب السليم هو الذى لا تعلق له بشىء غير الله ﷻ، وقوله تعالى: (وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ) [2]، يفهم منه أنه لا يصلح مجيئك إلى الله، ولا الوصول إليه، إلا إذا كنت فردًا مما سواه، منقطعًا عن غيره. وقوله تعالى: (أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى) [3]، يفهم منه أنه لا يأويك الله تعالى إلا إذا صح يتمك مما سواه.

---

(١) آية ٨٨ ـ ٨٩ من سورة الشعراء.

(٢) من آية ٩٤ من سورة الأنعام.

(٣) آية ٦ من سورة الضحى.

وقوله ﷺ: "إن الله وتر يحب الوتر"، أى يحب القلب الذى لا يشفع بتمنيات الآثار، فكانت هذه القلوب لله وبالله، فالأولياء هم أهل الحضرة المخاطبون بعين المنة، فكيف يمكنهم أن يكونوا لسواه مستندين، وهم لوجود الأحدية مشاهدين؟

قال الشيخ أبو الحسن الشاذلى ﷺ : قَوِيَ علىَّ الشهود، فسألته أن يستر على ذلك، فقيل لى، لو سألته بما سأله موسى كليمه، وعيسى روحه، ومحمد حبيبه وصفيه ـ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ـ لم يفعل، ولكن سله أن يقويك، فسألته فقوانى، فأهل الفهم أخذوا عن الله، وتوكلوا عليه، فكانوا بمعونته لهم، فكفاهم ما أهمهم، وصرف عنهم ما أغمهم، واشتغلوا بما أمرهم عما ضمن لهم، علمًا منهم بأنه لا يكلهم إلى غيره، ولا يمنعهم من فضله، فدخلوا فى الراحة، ووقفوا فى جنة التسليم، ولذاذة التفويض، فرفع الله بذلك مقدارهم، وأكمل أنوارهم.

الحكمة

قال تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُولُو الأَلْبَابِ﴾ (1).

الحكمة ليست هى النبوة، ولكنها العلم، والفقه، والقرآن الكريم، وقيل هى خشية الله، والخوف منه تعالى، وقال مالك ﷺأنه ليقع فى قلبى أن الحكمة هى الفقه فى الدين، وأمر يدخله الله فى القلوب من رحمته ونفضله، ومما يبين ذلك أنك تجد الرجل عاقلاً فى أمر الدنيا، إذا نظر فيها، ولا يفقه من دينه شيئًا، ونجد آخر ضعيفًا فى أمر دنياه، عالمًا فى أمر دينه بصيرًا بآخرته.

يا هذا: لا يفتك مجلس الحكمة، ولو كنت على معصية، ولا تقل: ما الفائدة من حضور مجالس العلم والحكمة، وأنا لا أقدر على ترك المعصية، بل على الرامى أن يرمى إلى الصيد، وإن لم يأخذ اليوم فسيصطاد غدًا.

وإذا حضرت مجالس العلم والحكمة، وخرجت إلى المخالفات والغفلات، فإياك أن تيأس، وتقول: ماذا يفيد

---

(1) آية ٢٦٩ من سورة البقرة.

الحضور؟ بل احضر فى مجالس العلماء، واستمع إليهم؛ حتى تستفيد وتتعظ، وتتخلص من ذنوبك.

فإنه ربما يكون بك مرض مضى عليه أربعون سنة، أتريد أن يذهب عنك فى ساعة واحدة، أو فى يوم واحد؟ فاصبر وداوم على تناول الدواء، والعرض على الأطباء.

أرأيت من ترك بئره فى الصحراء سنين عدة، وصارت الرياح تلقى فيها الأتربة والرمال، أفيستطيع أن يرفع ما فيها، ويصل إلى قرارها، ويخرج ماءها فى يوم، أو فى أسبوع، كلا وأنت قد تركت عين بصيرتك لرياح المعاصى والذنوب، تلقى فيها الأقذار أربعين سنة حتى انطمست، وتريد أن تزيل ما فيها، وتجلوها فى مجلس واحد؟

مثالك إذا سمعت الحكمة، ولم تعمل بها، كمثل الرجل الذى يلبس الدرع، ويحمل السيف، ولا يقاتل، ألا فقد حصل النداء على سلعتنا فهل من مشتر؟ والحكمة كالقيد، إن قيدت بها نفسك امتنعت عن شرودها، وإن رميت الحكمة، ولم تعمل بها تَسَيَّبتْ نفسك، وانطلقت فى غيها، وفى هذه الحالة يخاف عليك من سوء الخاتمة ـ والعياذ بالله تعالى ـ لأن الدواء إذا لم يفد، ولم

ينتج، فنهاية المريض الهلاك. ومثال ذلك كالمجنون فى بيتك يخربه ويقطع الثياب، ويتلف الأشياء، فإذا قيدته استرحت من شروره، وإذا طرحت القيد وخرجت فالضرر باق، والشر واقع والعاقبة سيئة.

يا عبد الله يكون بك حب الرئاسة، أو الجاه، أو المال، أو غيره، وتقول: حضرنا مجلس الشيخ فلان، وسمعنا وعظه، فما جذب قلوبنا، وما استفدنا منه، فلا تلم الشيخ، فالعيب منك؛ لأن النور إذا أغلقت فى وجهه الباب لم يدخل المنزل، فقل المانع منى، فلو استعددت فى أول يوم وأبعدت الحواجز عن قلبك، لانجذب قلبك، ولما احتجت إلى حضور مجالس أخرى، وإنما احتجت إلى التكرار لكثرة صدء قلبك، حتى تكون لكل جلسة صقلة فاصبر، واتعظ، وداوم. واعلم أنه ما أتيت لموطن حكمة إلا وفى عنقك سلسلة نورانية ربانية، وما أتيت لموطن معصية، إلا وفى عنقك سلسلة ظلمانية، فإن كنت لا تشهدها أنت، فغيرك يشهدها، ألا ترى الشمس يشهدها الناس أجمعون، إلا من كان أعمى.

فإذا حضرت إلى مجالس حكمة فهى رحمة ساقها الله إليك، فأقبل هديته واحفظها واعمل بها.

يا هذا، جوارحك غنمك، وأنت الراعى الموكل بها، والله هو المالك، فإن رعيتها فى المرعى الخصيب، وسقيتها الماء، وحفظتها من الذئاب، أرضيت المالك، واستوجبت الثناء الجميل، والأجر الجزيل. وإن رعيتها فى المرعى الوخيم حتى أعجف أكثرها، وهلك بعضها من الظمأ، ثم جاءت الذئاب واعتدت على ما بقى منها، استوجبت العقوبة من المالك، وحل غضبه عليك، فإن شاء انتقم منك، وإن شاء عفا عنك، إما ثواب إلى الجنة، وإما عقابك بالنار، فإن صرفتها فيما يرضى الله تعالى كنت ساعيًا فى طريق الجنة، وإلا كنت ساعيًا فى طريق النار.

فهذه موازين الحكمة، فزن بها عقلك، كما تزن الأشياء المحسوسة، فإذا كان الحق - سبحانه - قد جعل ميزانًا للبيع والشراء، أفلا يجعل ميزانًا للحقائق؟

والعجيب ممن يسأل المنجم عن حاله، ولا يسأل كتاب الله وسنة رسوله ﷺ عن مآله.

فيا أخى: حافظ على الجلوس فى مجلس الحكمة، ففيه نفحة من نفحات الجنة، تجدها واضحة فى قلبك، وتشعر بها فى طريقك،

وفى دارك ودكانك، وفى صلاتك، وتلاوتك، وذكرك الله ﷻ وفى عبادتك كلها.

واعلم أن العلماء والحكماء يعلمونك كيف تتعامل مع الله وتدخل إليه، وتحترمه، فهل رأيت خادمًا أول ما يؤجر يصلح لخدمة العظماء، بل يسلم لمن يربيه ويهذبه ويعلمه الخلق والأدب، ويدربه على حسن الخدمة، فإن صلح وتدرب، وعرف الأدب قدم للخدمة وألحق بالحاشية، وإلا طرد منها، حيث لا يصلح لها.

كذلك العلماء والأولياء ــ رضى الله عنهم ــ يصحبهم المريدون، ويتعلمون على أيديهم، ويهذبونهم، ويدلونهم على العمل الصالح، ويرضون أنفسهم وأخلاقهم. حتى يتقربوا بهم إلى الحضرة، ويسلكوا بهم طريق الاستقامة والرشاد.

وإياك أن تعتقد أنه لا يتوسل بالأنبياء، والأولياء، والصالحين، فإنهم وسيلة جعلها الله إليه؛ لأن كل كرامة للولى هى شهادة بصدق النبى؛ لأنها جرت على أيدى الأولياء، مثل خرق العادات والمشى على الماء، والطير فى الهواء، والأخبار بالمغيبات، ونبع الماء، ونحو ذلك؛ لأنهم لم يعطوا ذلك إلا لأجلهم.

الرزق

كم فيك من الكوامن، فإذا أوردت عليها الواردات أظهرتها، وأعظمها خطرًا ذنب الشك فى الله تعالى؛ لأن الشك فى الرزق شك فى الرزاق، والدنيا أحقر من أن يعال همها، وإذا صغرت الهمم عالت صغيرًا حقيرًا، ولوكنت عالى الهمة لعلت الهم الكبير، وهو الآخرة، ومن عال الهم الصغير، وترك الهم الكبير استقللنا عقله.

قم أنت بما يلزمك من وظائف العبودية، وما أمرك به ربك ، وهو يقوم لك بما التزمه، أيرزق الجعران، والوزع، والدود، ونبات وردان، وينسى أن يرزقك؟، قال تعالى: (وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى) [1].

وإذا رأيت من يصبح مهمومًا لأجل الرزق، فاعلم أنه بعيد من الله، فإنه لو قال لك مخلوق: لا تشتغل غدًا إلا بكذا وأنا أعطيك عشرة دراهم وثقت به، وأطعت أمره، وهو مخلوق فقير،

---

(١) آية ١٣٢ من سورة طه.

لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًا، أفما تكتفى بالغنى الكريم، الذى ضمن لك رزقك ما دمت حيًا؟، قال تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِى الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِى كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ (1).

ومن فرح بالدنيا إذا جاءته فقد ثبت حمقه، وأحمق منه من إذا فاتته الدنيا حزن عليها، ومثاله كمن جاءته حية لتلدغه، ثم مضت وسلمه الله منها وصرفها عنه، فحزن عليها؛ لأنها لم تضره، ومن علامات الغفلة وصغر العقل أن تعول همًّا هل يقع أم لا، وتخاف من الفقر قبل وقوعه، ولاتعول همًا لا بد من وقوعه وهو الموت، وتصبح تقول: كيف السعر غدًا؟، وكيف يكون الحال إلى آخر الشهر؟ وكيف نفعل فى المعيشة هذا العام؟ وألطاف الله تأتى من حيث لا تعلم ولا تدرى.

وما سرق السارق، وما غصب الغاصب إلا رزقه، فما دمت حيًا لم ينتقص من رزقك شىء، كفا بك جهلاً وحمقًا أن تعول الهم الصغير، وتترك الهم الكبير، عُل هم هل تموت مسلمًا أم كافرًا،

---

(1) من آية ١٨٩ من سورة البقرة.

عُل هم هل أنت سعيد أم شقى، عل هم النار الموصوفة بالأبدية التى لا انتهاء لها، عل هم أخذ الكتاب يوم القيامة باليمين أم بالشمال، هذا هو الهم الذى يعال حقًا، لا تَعُل هم لقمة العيش تأكلها، أو شربة تشربها.

أيستخدمك الملك، ولا يطعمك؟، أتكون فى دار الضيافة وتضيع؟ إن أحب ما يطاع الله به، هو الثقة به، قال الله تعالى: (وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) [1]، فاعلم أن باب الرزق طاعة الرزاق، فكيف يطلب منه بمعصيته؟ أم كيف يستمطر فضله بمخالفته؟

قال عليه أفضل الصلاة والسلام: "لا ينال ما عند الله بسخطه" أى لا يطلب رزقه إلا برضاه وطاعته، وقد قال الله تعالى تصديقًا لذلك: (وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ) [2].

---

(١) من آية ١٨٩ من سورة البقرة.

(٢) من آية ٢، ٣ من سورة الطلاق.

ولهذا قال الشيخ أبو العباس المرسى ﷺ فى حزبه لما قال: وأعطنا كذا، وكذا، قال: والرزق الهنى الذى لا حجاب به فى الدنيا، ولا حساب، ولا سؤال، ولا عقاب عليه فى الآخرة، فأهله على بساط علم التوحيد والشرع، سالمين من الهوى، والشهوة، والطمع.

ومثال المهوم بأمر دنياه، الغافل عن التزود لأخراه، كمثل إنسان جاءه سبع يريد أن يفترسه، فاشتغل بذب الذباب ودفعه عن وجهه، عن التحرز عن السبع حتى أكله، والحق أن هذا عبد أحمق، فاقد العقل، ولو كان متصفًا بالعقل، لشغله أمر الأسد وهجومه عليه عن الفكرة فى الذباب.

كذلك المهتم بأمر دنياه عن التزود للآخرة، دل ذلك منه على وجود حمقه، إذ لو كان زكيًا عاقلاً لتأهب للدار الآخرة، التى هو مسئول عنها بين يدى الله.

فلا تشتغل بأمر الرزق، فإن الاهتمام به بالنسبة للآخرة، كنسبة الذباب إلى مفاجأة الأسد وهجومه، ومثال العبد مع الله فى هذه الدار كالطفل مع أمه، ولم تكن الأم لتدع تدبير أمر ولدها، وهو فى كفالتها، ولا أن تخرجه من رعايتها وحمايتها.

كذلك العبد المؤمن مع الله تعالى، قائم له بحسن الكفالة، فهو سائق إليه المنن، ودافع عنه المحن، ومثال العبد مع الله كمثل أجير أتى به الملك إلى داره، وأمره أن يعمل عملاً، فما كان ليأتى بالأجير ويستخدمه فى داره، ويتركه من غير طعام، إذ هو أكرم من ذلك.

فكذلك العبد مع الله تعالى، فالدار دار الله، والأجير هو أنت أيها المؤمن والعمل الذى أمرك به هو الطاعة، والأجرة هى الجنة يوم القيامة، ولم يكن الله ليأمرك بالعمل، ولا يسوق إليك ما به تستعين عليه إلا لخيرك.

عن أحد النباشين أنه تاب إلى الله تعالى، فقال يومًا لشيخه: يا سيدى: نبشت ما يقرب من ألف قبر فوجدت وجوههم محولة عن القبلة، فقال الشيخ: يا ولدى ذاك هو شكهم فى رزقهم.

التدبير للدنيا

اعلم أن التدبير للدنيا على قسمين؛ تدبير الدنيا للدنيا، وتدبير الدنيا للآخرة، فالأول: هو أن تدبر فى أسباب جمعها افتخارًا بها، وحبًا لها، وكلما زيد فيها شىء ازداد غفلة عن الآخرة، وازداد اغترارًا وطغيانًا، وأمارة ذلك أن تشغله عن موافقة الشرع، وتحمله على مخالفته من أجلها وبسببها.

والثانى: كمن يدير المتاجر ليأكل منها حلالاً طيبًا، أو لينفق منها على الفقراء، والمساكين، وليصل بها رحمه، وليصون بها نفسه عن سؤال الناس، ويحفظ ماء وجهه من ذل الحاجة، وأمارة ذلك عدم الاستكثار والادخار، والإسعاف والإيثار، وتفريج كرب المسلمين، والتيسير على المعسرين.

واعلم أن الدنيا ليست مذمومة على الإطلاق، وليس كل طالب دنيا مذمومًا ممقوتًا، وإنما المذموم هو أن تشغل المرء عن دينه وآخرته، وتصرفه عن عبادة ربه، ويصبح عبدًا، وخادمًا لمطالبها.

والطالب المذموم هو من طلبها لنفسه لا لربه، ولدنياه لا لآخرته، وللكنز لا للإنفاق، وللتفاخر لا لقضاء الحوائج.

فالناس إذن على قسمين: عبد طلب الدنيا للدنيا، وللمفاخرة والمكاثرة، والشر والشح، والإفساد فى الأرض، وعبد طلب الدنيا؛ ليستعين بها على الآخرة، ويتوصل بها إلى طاعة ربه، وسمعت شيخنا أبا العباس المرسى ﷺ يقول: العارف بالله لا دنيا له ولا آخرة؛ لأن دنياه لآخرته، وآخرته لربه، وعلى هذا تحمل أحوال الصحابة والسلف الصالح الذين عاشوا أغنياء، فكل ما دخلوا فيه من الأسباب فهم به إلى الله متقربون، لا يقصدون بالمال الدنيا وزينتها، وتحصيل لذاتها، ولهذا وصفهم الخالق سبحانه بقوله: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾[1].

وما ظنك بقوم يحبهم الله، وقد اختارهم لصحبة نبيه ﷺ ونصرته، ولمواجهة خطابه فى تنزيله، فما أحد من المؤمنين إلى يوم القيامة إلا وللصحابة فى عنقه منن لا تعد ولا تحصى، وأياد لا تنسى؛ لأنهم هم الذين حملوا إلينا عن النبى ﷺ الحكم

(١) من آية ٢٩ من سورة الفتح.

والأحكام، وبينوا الحلال من الحرام، وفهموا الخاص والعام، وفتحوا الأقاليم والبلاد، وقهروا أهل الشرك والعناد.

فبحق يستحقون ما قاله رسول الله ﷺ فيهم: "أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم"، وقد وصفهم الله تعالى فى الآية الكريمة بأوصاف كثيرة إلى أن قال تعالى: (يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ) (١).

فدل ذلك على أنهم ما ابتغوا بما حملوه من الدنيا، ولم يقصدوا بذلك إلا وجهه الكريم، وفضله العظيم، وقال الله فى آية أخرى: (فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ) (٢).

---

(١) من آية ٨ من سورة الحشر.

(٢) آية ٣٦ ـ ٣٧ ـ ٣٨ من سورة النور.

فلم ينف الله عنهم اتخاذ الأسباب، ولا التجارة، ولا البيع، ولا الشراء، فلا يخرجهم عن المدح غناهم، إذا قاموا بحقوق مولاهم.

قال عبد الله بن عتبة: كان لعثمان بن عفان ﷺ عند خازنه يوم قتل مائة ألف وخمسمائة دينار، وألف ألف درهم، وترك ألف فرس، وألف مملوك، وخلف ضياعًا، بئر أريس، وخيبر، ووادى القرى، وما قيمته مائتا ألف دينار.

وخلف عمرو بن العاص ثلاثمائة دينار، وبلغ مال الزبير بن العوام خمسين ألف دينار، وترك ألف فرس، وألف مملوك، وثروة عبد الرحمن بن عوف ﷺ أشهر من أن تذكر.

فقد روى أن زوجته (تماضر)، صالحها سيدنا عثمان ﷺ عن ربع الثمن، وكان له أربع نسوة واتفقوا معها على ثمانين ألف دينار، وتترك نصيبها فى الميراث.

وقد كانت الدنيا فى أكفهم لا فى قلوبهم، صبروا عنها حين فقدت، وشكروا الله عليها حين وجدت، وإنما ابتلاهم الله بالفاقة فى أول أمرهم حتى تكاملت أنوارهم، وطهرت أسرارهم، فبذلها لهم حينئذ؛ لأنهم لو أعطوا منها قبل ذلك ربما كانت تأخذ منهم

تفكيرهم وتشغلهم، فلما أعطوا بعد التمكين والرسوخ فى اليقين، تصرفوا فيها تصرف الحاذق الأمين، وامتثلوا فيها قول رب العالمين: ﴿وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ (١).

ويدلك على عدم حبهم لها خروج أبى بكر ﷺ عن ماله كله وقت الغزوات، وخروج عمر ﷺ عن نصف ماله، وخروج عبد الرحمن بن عوف ﷺ عن سبعمائة بعير محملة، وتجهيز عثمان بن عفان ﷺ جيش العسرة من ماله، إلى غير ذلك من حسن أفعالهم، وجميل أحوالهم - رضى الله عنهم أجمعين - رضاء دائمًا أبدًا، فتضمنت الآيات التزكية لظواهرهم وسرائرهم، وإثبات محامدهم ومفاخرهم.

(١) من آية ٧ من سورة الحديد.

ذم التكالب على الدنيا

اعلم يا أخى أنك إذا أعطيت الدنيا، وحرمت الشكر فيها، وصرفتك عن أعمال الآخرة، فهى محنة فى حقك، وبلية ابتليت بها، قال رسول الله ﷺ: "قليل الدنيا يلهى عن طريق الآخرة"، فما بالك بكثيرها؟

فلا تكن كأرباب الدنيا الذين تعلقوا بها فطلقتهم، بل كن من الذين طلقوها وفارقوها قبل أن تفارقهم.

ومثالك إذا آثرت الدنيا على الآخرة، كمن له زوجتان إحداهما عجوز خائنة، والأخرى شابة جميلة وفية، فإذا آثرت العجوز الدميمة الخائنة على الشابة الحسنة الوفية، فإنما تكون أحمق، والعجوز هى الدنيا، والشابة هى الآخرة.

فالدنيا كعجوز مصابة بمرض الجذام والبرص، ولكنها سترت عيوبها بثوب من حرير، فالمؤمن نافر منها، ومنفر عنها، لانكشاف حقيقتها له.

واعلم أنه لا يطلع على الأسرار إلا أمين، وأنت تعطى حظك من المآكل والمشارب، والملبس والزينة، أو يكفيك كل هذا

من حب الدنيا؟ ومن أحب الدنيا فقد خان الأمانة، ومن خان لا يطلعه الملك على أسراره.

فاستعمل الدنيا للوصول بها إلى الآخرة، وأكثر من الأذكار حتى تتنزل عليك الأنوار، فمثال الدنيا عندك كمن خرج إلى الضيعة واجتهد فيها، وخزن الأقوات ليوم الحاجة، فهذا كيس فطن؛ لأنه عمل ما يعود نفعه عليه فى وقته، كذلك من يعمل الصالحات فى هذه الحياة، أما أنت فقد خزنت حيات الشهوات، وعقارب المعصية حتى أهلكتك.

فكن يا أخى مقبلاً على الآخرة معرضًا عن الدنيا، واحذر من فتكها، وغدرها بأصحابها، ومثال المشتغل بها عن طاعة الله وعبادته كعبد أرسله السيد إلى بلد غريب ليصنع له ثيابًا ويحضرها، فدخل العبد تلك القرية، فقال: أين أسكن؟ ومن أتزوج؟ واشتغل بذلك وصرف همته لتدبير هذه الأمور، وعطل ما أمره به سيده حتى دعاه إليه، وعرف حاله، وأنه لم يجهز مما أمره به شيئًا، فكان جزاؤه من السيد أن جازاه القطيعة، وأحل عليه غضبه، وأوجب له الحجب عنه، لاشتغاله بأمر نفسه عن حق سيده. كذلك أنت أيها المؤمن أخرجك الحق إلى هذه الدار،

وأمرك فيها بخدمته، وقام لك بوجود التـدبير منـة منـه لـك، فـإن اشتغلت فيها بتدبير نفسك عن حق سيدك فقد عدلت عن سـبيل مسالك الردى.

ومثال العبد فى الدنيا، كمثل عبد قال لـه سـيده: اذهـب إلى أرض كذا وكذا، واحكم أمرك لأن تسافر منها إلى برية كذا وكذا، وخذ أهبتك وعدتك، فإذا أذن له السيد فى ذلك، فمعلوم أنه قـد أباح له أن يأكل ما يستعين به على إقامة بدنـه ليسـعى فـى طلـب العدة، وليقوم بوجود الأهبة، كذلك العبد مع الله أوجده فى هذه الدار، وأمره أن يتزود منها لمعاده، فقال الله تعالى: (وَتَـزَوَّدُوا فَـإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِى الأَلْبَـابِ) [1]، فمعلـوم أنـه إذا أمره بالزاد للآخرة، فقد أباح له أن يأخذ من الدنيا ما يسـتعين بـه على تزوده بالآخرة، واستعداده لها، وتأهبه لمعاده.

واعلم أن قيمتك قيمة ما أنـت مشـغول بـه، فـإن اشـتغلت بقلبك فى الدنيا فلا قيمة لك؛ لأن الدنيا كالجيفة لا قيمة لها، وإن اشتغلت بالآخرة فأنت من السعداء، أصحاب الهمم العالية.

---

(١) من آية ١٩٦ من سورة البقرة.

مثال المهموم بأمر دنياه

مثال المهوم بأمور الدنيا، الذى يبيت الليل يدبر ويفكر فى شأنها، ومن سلم أمره لله وتوكل عليه، وأراح ضميره من همومها كعبدين للملك؛ أما أحدهما: فمشتغل بأوامر سيده وتنفيذها والاهتمام بها، لا يلتفت إلى جميل ملبس، ولا إلى مأكل حسن وإنما همته خدمة السيد، فأشغله ذلك عن التفرغ لحظوظ نفسه ومطالبها إلا بالمقدار الذى يرضى سيده، وأما العبد الآخر: ففى أى وقت يطلبه سيده يجده مشغولاً بأمر نفسه، يغسل ثيابه ويجملها، ويسوس دابته، ويحسن زيه، ويطهى طعامه، فالعبد الأول أولى بإقبال سيده عليه من العبد الثانى الذى أهمل الخدمة، والسيد إنما اشترى العبد لخدمته لا لنفسه، فمثال العبد الأول كالعبد الصالح الموفق، لا تراه إلا مشغولاً بحقوق ربه وامتثال أوامره عن محاب نفسه ومطالبها، فلما كان كذلك قام له الحق سبحانه بكل مطالبه، وتكرم عليه بجزيل عطائه، لصدقه فى توكله، وتفانيه فى الخدمة، وإخلاصه فى الطاعة.

قال تعالى: (وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا) (١)، والمنهمك فى الدنيا الغافل عن الآخرة، لا تجده مشغولاً إلا فى تحصيل دنياه واتخاذ الأسباب التى توصله إلى قصده وهواه.

عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "من كانت الآخرة همه جعل الله غناه فى قلبه، وجمع عليه شمله، وأتته الدنيا وهى راغمة. ومن كانت الدنيا همه، جعل الله فقره بين عينيه، وفرق عليه شمله، ولم يأته من الدنيا إلا ما قدر له، فلا يمسى إلا فقيرًا، ولا يصبح إلا فقيرًا، وما أقبل عبد على الله بقلبه إلا جعل قلوب المؤمنين تنقاد إليه بالود والرحمة، وكان الله بكل خير إليه أسرع"(٢).

(١) من آية ٣ من سورة الطلاق.

(٢) رواه الترمذى.

مثال العبد مع الله

ومثال العبد مع الله، كمثل عبد أمره الملك أن يقيم فى أرض كذا، ويحارب فيها العدو ويجاهده. ومعلوم أنه إذا أمره بذلك أباح له أن يأكل من مخازن تلك الأرض بالأمانة، ويأخذ من خزائنها ما يستعين به على محاربة العدو وقهره. وكذلك العباد أمرهم الحق ﷻ بمحاربة النفس والشيطان ومجاهدتهما، لقوله تعالى: (وَجَاهِدُوا فِى اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ) [1]، وهذا هو الجهاد الأكبر الذى أشار إليه الرسول ﷺ بعد رجوعه من حرب الأعداء، وقال تعالى: (إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا) [2].

فلما أمر العبد بمحاربتهم أذن له أن يتناول من منابت أرضه ما يستعين به على محاربة الشيطان وحزبه، إذ لو تركت المأكل والمشرب، لم يمكنك أن تقوم بطاعته، ولا أن تنهض لخدمته.

ومثال العباد مع الله؛ كمثل ملك له عبيد، فبنى دارًا، وحسنها وجملها، وتولى غراسها، وأكمل المشتهيات فيها، وجعلها فى غير الموطن الذى يقيم فيه العبيد، وهو يريد أن ينقلهم إليها

(١) من آية ٧٨ من سورة الحج.

(٢) من آية ٦ من سورة فاطر.

ويمتعهم بها. أترى إذا كانت هذه غايته بهم فيما ادخر لهم عنده، وهيأ لهم بعد الرحلة إليه، أيمنعهم ههنا أن يتناولوا من منته وكرمه، وفضلات طعامه! وهو قد هيأ لهم الأمر العظيم، والخير الكثير، والفضل الجسيم.

كذلك العباد مع الله تعالى، جعلهم فى الدنيا وسخرها لهم ومكنهم منها، وأعد لهم الجنة ونعيمها، فلا يريد أن يمنعهم من متع الدنيا ويحرمهم منها، ولكن على قدر ما يقيم وجودهم، ويحفظ أجسادهم، من غير شره ولا بطر، قال تعالى: (وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ) [1]. وقال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ) [2].

وإذا كان الله قد ادخر لك الباقى، ومن عليك به، فهو لا يمنعك الثانى ولا يحرمك منه، فإنما يمنعك ما لم يقسمه لك، وما لم يقسمه لك، فليس لك، بل هو لمن قسمه له، قال تعالى: (نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) [3].

(١) من آية ٣١ من سورة الأعراف.

(٢) آية ١٧٢ من سورة البقرة.

(٣) من آية ٣٢ من سورة الزخرف.

ادخار أهل المعرفة

مثال المدخر للمال فى الدنيا؛ كعبد الملك، لا يرى أن له مع سيده شيئًا، ولا يعتمد على ما يدخره فى يده، ولا على ما وفره فى خزانته، بل يعتمد على ما يختاره السيد له، فإذا فهم هذا العبد أن الإمساك يسر السيد ويرضيه، أمسك لسيده لا لنفسه، حتى يتخير موضع صرفه حسب أمر سيده، فيصرف هذا المال حين يفهم من سيده أنه يريد صرفه، فهذا بإمساكه، غير ملوم؛ لأنه أمسك لسيده وبأمره، لا لنفسه.

كذلك أهل المعرفة بالله، إن بذلوا أموالهم بذلوها فى سبيله، ولمرضاته، وإن أمسكوا فلله أمسكوا، يبغون بذلك ما فيه رضاه ﷻ، لا يريدون ببذلهم وإمساكهم إلا إياه تعالى.

فهم خزان أمناء، وعبيد كبراء، وأبرار كرماء، قد حررهم الحق من رق الآثار، فلم يميلوا إلى الدنيا بحب، ولم يدخروها بشهوة وشوق، ولم يقبلوا عليها بشغف وود، منعهم من ذلك ما أسكنه فى قلوبهم من حب الله ووده، وما امتلأت به صدورهم من عظمته ومجده، فصارت الأموال فى أيديهم، كما هى فى خزائن الله، من قبل أن تصل إلى أيديهم، علمًا منهم بأن الله تعالى

يملكهم ويملك ما ملكهم، فهم لا يدخلون فى شىء بنفوسهم، ولكن من الله، وبالله، وإلى الله.

قال رسول الله ﷺ: "من أحب لله، وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله، فقد استكمل الإيمان"[1].

(١) رواه أبو داود.

بيان للمعتبرين وهداية للمستبصرين

من خرج عن تدبيره لنفسه كان الله هو القائم بحسن التدبير له؛ لأنه قد فوض أمره إليه، ومن يتوكل على الله فهو حسبه، والتدبير على قسمين؛ تدبير محمود، وتدبير مذموم.

فالتدبير المحمود: هو ما كان تدبيرًا إلى ما يقربك إلى الله، وإلى ما يوصلك إلى رضوانه تعالى كالتدبير فى براءة الذمة، من حقوق المخلوقين، وسد ديونهم، إما وفاء وإما استحلالاً، وتصحيح التوبة إلى رب العالمين برد مظالم العباد إليهم، والتفكير فيما يؤدى إلى قمع الهوى المردى، وطرد الشيطان المغوى، فهذا كله محمود.

وأما التدبير المذموم: فهو كل تدبير ينعطف على نفسك بوجود حظها فيه، وتحقيق رغبتها منه، ليس لله فيه شىء، كالتدبير من أجل تحصيل معصية، أو فى حظ بوجود غفلة، أو لنيل طاعة بوجود رياء، أو لفعل خير بوجود سمعة، ونحو ذلك، فهذا كله تدبير مذموم؛ لأنه إما موجب عقابًا، وإما موجب حجابًا.

ومن عرف نعمة العقل، استحيا من الله أن يصرف عقله إلى تدبير ما لا يوصله إلى قربه، وما لا يكون سببًا لوجود حبه، والعقل أفضل ما منّ الله به على عباده؛ لأنه ﷺ خلق

الموجودات، وتفضل عليها بالإيجاد، ودوام الأمداد، فاشتركت الموجودات فى إيجاده وإمداده، فلما اشتركت أراد الحق سبحانه أن يميز الآدمى عنهم، فأعطاه العقل، وأيده به، وفضله بذلك على الحيوان، وأكمل به نعمته على الإنسان.

وبالعقل ووفوره وكماله وإشراقة نوره تتم مصالح الدنيا والآخرة، فصرف نعمة العقل إلى تدبير الدنيا، التى لا قدر لها عند الله كفر لنعمة العقل واحتقار له، واستخدام له فى غير ما خلق لأجله، وتوجه العقل إلى الاهتمام بإصلاح شأنه فى معاده، هو قيام بشكر المحسن به.

والله تعالى الذى أفاض من نوره عليه أحق بهذا العقل، وأولى به من غيره، فيا عبد الله: لا تصرف عقلك الذى منّ به عليك، وفضلك به على جميع خلقه، لا تصرفه فى تدبير الدنيا الفانية، التى أخبر عنها الرسول ﷺ بقوله: "جيفة قذرة"، وكما وصفها الضحاك ﷺ حين قال له ﷺ: "ما طعامك؟ قال: اللحم، واللبن، قال: ثم يعودان إلى ماذا؟ قال الضحاك: إلى ما قد علمت يا رسول الله، قال: فإن الله قد جعل ما يخرج من ابن آدم مثلاً للدنيا".

مناجاته لربه رضى الله عنه[1]

إلهى: أنا الفقير فى غناى، فكيف لا أكون فقيرًا فى فقرى؟ وأنا المجهول فى علمى، فكيف لا أكون جهولاً فى جهلى؟

إلهى: منى ما يليق بلؤمى، ومنك ما يليق بكرمك، إن ظهرت المحاسن منى، فبفضلك ولك المنة على، وإن ظهرت المساوئ منى فبعدلك، ولك الحجة على.

إلهى: كيف تكلنى، وقد توكلت بى، وكيف أضام وأنت الناصر لى؟ أم كيف أخيب وأنت الحفى بى؟ ها أنا أتوسل إليك بفقرى.

وكيف أتوسل بما هو محال أن يصل إليك، أم كيف أشكو إليك حالى وهو لا يخفى عليك، أم أترجم بمقالى، وهو منك ظهر وإليك.

أم كيف تخيب آمالى، وهى قد وفدت عليك، أم كيف لا تحسن أحوالى وبك قامت وإليك.

(١) هذه مناجاة ابن عطاء الله.

إلهى: ما ألطفك بى مع جهلى، وما أرحمك بى مع قبيح فعلى، وما أقربك منى وما أبعدنى عنك، وما أرأفك بى، فما الذى يحجبنى عنك؟

إلهى: كلما أخرسنى لؤمى أنطقنى كرمك، وكلما أيأستنى أوصافى، أطعمتنى منتك.

إلهى: من كانت محاسنه مساوى.. فكيف لا تكون مساويه مساوى؟

ومن كانت حقائقه دعاوى، فكيف لا تكون دعاويه دعاوى؟

إلهى: كيف أعزم وأنت القاهر؟ وكيف لا أعزم وأنت الآمر؟

ترددى فى الآثار يوجب بعد المزار، فاجمعنى عليك بخدمة توصلنى إليك، كيف يستدل عليك بما هو فى وجوده مفتقر إليك؟ أيكون لغيرك من الظهور ما ليس لك، حتى يكون هو المظهر لك؟ متى غبت حتى تحتاج إلى دليل يدل عليك؟ ومتى بعدت حتى تكون الآثار هى التى توصل إليك؟

إلهى: عميت عين لا تراك عليها رقيبًا، وخسرت صفقة عبد لم تجعل له من حبك نصيبًا.

إلهى: هذا ذلى ظاهر بين يديك، وهذا حالى لا يخفى عليك منك أطلب الوصول، وبك أستدل عليك، فاهدنى بنورك إليك وأقمنى بصدق العبودية بين يديك.

إلهى: علمنى من علمك المخزون، وصنى بسر اسمك المصون، وحققنى بحقائق أهل القرب، واسلك بى فى مسالك أهل الجذب، واغننى بتدبيرك عن تدبيرى، وباختيارك عن اختيارى، وأوقفنى على مراكز اضطرارى، وأخرجنى من ذل نفسى، وطهرنى من شكى وشركى قبل حلول رمسى.

بك استنصر فانصرنى، وعليك أتوكل فلا تكلنى، وإياك أسأل فلا تحرمنى، وفى فضلك أرغب فلا تخيبنى، ولجنابك أنتسب فلا تبعدنى، وببابك أقف فلا تطردنى.

إلهى: إن القضاء والقدر غلبنى، وإن الهوى بوثائق الشهوة أسرنى، فكن أنت الناصر لى، حتى تنصرنى وتبصرنى، واغننى بفضلك حتى استغنى به عن طلبى.

أنت الذى أشرقت الأنوار فى قلوب أوليائك، وأنت الذى أزلت الأغيار من أسرار أحبائك، أنت المؤنس لهم حيث أوحشتهم العوالم، وأنت الذى هديتهم حتى استبانت لهم المعالم.

ماذا وجد من فقدك؟ وما الذى فقد من وجدك؟ ولقد خاب من رضى دونك بدلاً، ولقد خسر من بقى دونك تحولاً.

كيف يرجى سواك، وأنت ما قطعت الإحسان، وكيف يطلب من غيرك، وأنت ما بدلت عادة الامتنان.

يا من أذاق أحباءه حلاوة مؤانسته، فقاموا بين يديه متملقين، ويا من ألبس أولياءه هيبته، فقاموا بعزته مستقرين.

أنت الذاكر من قبل الذاكرين، وأنت البادئ بالإحسان من قبل توجه العابدين، وأنت الجواد بالإعطاء من طلب الطالبين، وأنت الوهاب لنا، ثم أنت لما وهبتنا من المستقرضين، فاطلبنى برحمتك حتى أصل إليك، واجذبنى بمنتك حتى أقبل عليك.

إلهى: إن رجائى لا ينقطع عنك وإن عصيتك، كما أن خوفى لا يزايلنى، وإن أطعتك، قد دفعتنى العوالم إليك، وأوقفنى علمى بكرمك على، فكيف أخيب وأنت أملى، أم كيف أهان، وأنت متكلى.

كيف أستعز وفى الذلة أركزتنى؟ أم كيف لا أستعز وإليك قد نسبتنى؟ كيف لا أفتقر وأنت الذى فى الفقر أقمتنى؟ أم كيف أفتقر وأنت الذى بجودك أغنيتنى؟

أنت الذى لا إله غيرك، تعرفت لكل شىء، فما جهلك شىء، وأنت تعرفت لى فى كل شىء، فرأيتك ظاهرًا فى كل شىء فأنت الظاهر فى كل شىء.

يا من استوى برحمانيته على عرشه، فصار العرش غيبًا فى رحمانيته، كما صارت العوالم غيبًا فى عرشه.

محقت الآثار بالآثار، ومحوت الأغيار بمحيطات أفلاك الأنوار، يا من احتجب فى سرادقات عزه، عن أن تدركه الأبصار، يا من تجلى بكمال بهائه، فتحققت بعظمته الأسرار، كيف تخفى وأنت الظاهر؟ أم كيف تغيب وأنت الرقيب الحاضر، وصلى الله على سيدنا محمد النبى الأمى الطاهر، وعلى آله صلاة تحل بها العقد، وتفرج بها الكرب، ويزول بها الضرر، وتهون بها الأمور الصعاب صلاة ترضيك وترضيه، وترضى بها عنا يا رب العالمين آمين.

* * *

- أصول الطريق.
- أساس الطريق.
- سفينة النجاة.
- بعض أحزاب الشيخ أبى الحسن

أصول الطريق

مما يجب على المريد:

(١) أن يتقرب إلى الله تعالى بما شرعه وسنه رسوله ﷺ.

(٢) أن تكون عبادته لوجه الله تعالى مخلصًا فى قوله وعمله، دون رياء مكتفيًا بعلم الله فيه، وإياه وحب الظهور فإنه يقصم الظهور.

(٣) أن يحفظ جوارحه عن المحرمات، وليدع الفضول فى الأقوال والأفعال، والتدخل فيما لا يعنيه، وأن يطهر قلبه من الرذائل والخواطر النفسية، وألا يشغل نفسه بهم الرزق وخوف الخلق، فإن الله هو الرزاق ذو القوة المتين.

(٤) ألا يعترض على الخلق، وألا يركن إلى دنيا أو جاه وإنما يعتمد على الله وحده، وأن يفوض الله تعالى فى جميع أموره، ويرضى عنه فى السراء والضراء.

(٥) أن يكون عفوًا صفوحًا عن زلات أخيه ناصحًا له إن أمكن، وألا يهجر أخاه فوق ثلاث، وأن يبدأه بالسلام إذا التقى به.

(٦) أن يتحلى بالصدق فى الأقوال والأفعال، وأن يتجمل بالصبر فى كل أموره.

(٧) أن تلازمه مراقبة الله تعالى فى السر والعلن.

(٨) أن يحسن الظن بربه والناس.

(٩) أن يكثر من الصدقات فإنها أقرب الطرق الموصلة إلى الله تعالى.

(١٠) أن يجدد التوبة كلما وقع فى هفوة، أو شهوة، أو غفلة.

(١١) أن يديم الاستغفار ويكثر من الصلاة على الرسول الأعظم ﷺ.

(١٢) أن يحاسب نفسه ويتهمها فى كل شىء، متوسلاً بجاه سيد البشر وبعترته الطاهرة.

(١٣) وعليه التسليم الكامل لشيخه، والتفانى فى خدمته، واتباع أوامره، وألا يعزم على أمر حتى يستأذنه فإذنه سبب نجاحه.

(١٤) أن يشغل أوقات فراغه بمجالسة أهل التحقيق أو مطالعة كتبهم.

***

ومما يعين على الطاعة ويقرب إلى الله تعالى:

ألا يملأ بطنه من طعام حلال، وأن يبتعد عما فيه شبهة من طعام، أو شراب، أو قول، أو عمل، واجتناب اللغو من الكلام، والفرار من أهل الدنيا ما أمكن، وألا يسهر إلا فى طاعة ربه، ولا ينام إلا عن غلبة، وعليه باستعمال السواك ودوام الوضوء، وكلما أحدث توضأ، وكلما توضأ صلى ركعتين، مع المواظبة على الصلوات الخمس فى أول وقتها مع الجماعة وألا يتخلف عن رباط الصوفية إلا لعذر، وإلا حرم بركتهم وأن يصوم من كل شهر عربى ثلاثة أيام الثالث عشر، والرابع عشر، والخامس عشر.

وتلاوة ما تيسر من القرآن يوميًا، وعليه بقيام الليل فهو سبب الخير.

***

ومن آداب الذكر:

ألا يتلو وردًا إلا بإذن من شيخه، أو يلقنه إياه، وأن يجلس فى الذكر على هيئة المتشهد، متوضئًا مستقبل القبلة ما أمكن، مغمضًا عينيه، وألا يشغل قلبه حال الذكر إلا بالمذكور، وأن

يراقب صورة شيخه فى جميع عباداته، وأن يستمد بقلبه من شيخه، وأن يلاحظ أن استمداده من شيخه هو الاستمداد من النبى ﷺ؛ لأن الشيخ الصادق نائب عنه.

وألا يشرب عقب الذكر مباشرة، ولينتظر قليلاً فى مكانه بعد الذكر صامتًا مستحضرًا لتلقى ما يرد عليه من وارد الذكر، وليؤد أوراده كاملة فى أوقاتها، وإلا حرم المدد وينبغى ألا يتقدم أحد المريدين فى بدء ذكر ولا حزب ولا ورد على من قدمه شيخهم ما دام حاضرًا.

***

أساس طريقتنا الشاذلية (يتلى صباحًا ومساءً)

- أستغفر الله (مائة).
- اللهم صلى على سيدنا محمد عبدك ونبيك ورسولك النبى الأمى وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا بقدر عظمة ذاتك فى كل وقت وحين (مائة).
- لا إله إلا الله (مائة).
- سيدنا محمد رسول الله ﷺ(مرة).

وإذا فات لا يقضى، ولكن القضاء أولى من تركه إذا فاته اضطرارًا، ثم المسبعات (تتلى صباحًا قبل طلوع الشمس ومساء قبل غروبها).

- الفاتحة (سبعًا).
- سورة الناس (سبعًا).
- سورة الفلق (سبعًا).
- سورة الإخلاص (سبعًا).
- سورة الكافرون (سبعًا).
- آية الكرسى (سبعًا).
- سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله، والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم (سبعًا).
- اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد كما صليت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم، وبارك على سيدنا محمد، وعلى آل سيدنا محمد كما باركت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم فى العالمين إنك حميد مجيد (سبعًا).

- اللــهم اغفــر لى ولوالــدى وللمــؤمنين والمؤمنــات، والمسلمين والمسلمات، الأحياء منهم والأموات (سبعًا).
- اللهم افعل بى وبهم عاجلاً وآجلاً فـى الـدين والـدنيا والآخرة ما أنت له أهل ولا تفعل بنا يا مولانا مـا نحـن له أهل، إنك غفـور حلـيم جـواد كـريم رءوف رحـيم (سبعًا). (وزاد شيخنا) يا من مقاليد الخير كلـها بيـده، وإليه يرجع الأمر كله يا فتاح يا عليم، افتح علـى فتحًـا قريبًا يا عليم يا فتاح (سبعًا).

***

الأسماء التى يجب على المريد سلوكها فى بدايته:

(الأصول): لا إله إلا الله ـ الله ـ هـو ـ حـى ـ واحـد ـ عزيـز ـ ودود.

(الفروع): حق ـ قهار ـ قيوم ـ وهاب ـ مهيمن ـ باسط.

يقرأ كل اسم مائة ألف مرة على مدى الأيام حسب قدرته وفراغه، ولا ينتقل من اسم إلى آخر قبل تمام العـدد إلا إذا رأى رؤيا وعرضها على شيخه ووجد منها الانقـال نقلـه وإلا فليـتم العدد.

***

سفينة النجاة لسيدى أحمد زروق (تقرأ صباحًا ومساءً).

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

بسم الله الرحمن الرحيم

وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لاَّ إِلَٰهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ * اللهُ لاَ إِلَٰهَ إِلاَّ هُوَ الْحَىُ الْقَيُّومُ * بسم الله الرحمن الرحيم. الم . اللهُ لاَ إِلَٰهَ إِلاَّ هُوَ الْحَىُ الْقَيُّومُ * وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَىِ الْقَيُّومِ * اللهُ لاَ إِلَٰهَ إِلاَّ هُوَ الْحَىُ الْقَيُّومُ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ لَهُ مَا فِى السَّمَاوَاتِ وَمَا فِى الأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِى يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يُحِيطُونَ بِشَىءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَلا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِىُ الْعَظِيمُ.

بسم الله الرحمن الرحيم. حم تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِى الطَّوْلِ لا إِلَٰهَ إِلاَّ هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ.

لِلَّهِ مَا فِى السَّمَاوَاتِ وَمَا فِى الأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِى أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ

وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ.

بسم الله الرحمن الرحيم. قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ وَلا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ وَلا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ وَلا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ.

بسم الله الرحمن الرحيم. إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا.

بسم الله الرحمن الرحيم. قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ. (ثلاثًا)

بسم الله الرحمن الرحيم. قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِى الْعُقَدِ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ. (ثلاثًا)

بسم الله الرحمن الرحيم. قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ مَلِكِ النَّاسِ إِلَهِ النَّاسِ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ الَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ النَّاسِ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ. (ثلاثًا)

اللهم إنى أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم، وأستغفرك لما لا أعلم (ثلاثًا).

اللهم إنى أعوذ بك من الهم والحزن، وأعوذ بك من العجز والكسل، وأعوذ بك من البخل والجبن، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال (ثلاثًا).

اللهم إنى أعوذ بك من الكفر والفقر، وأعوذ بك من عذاب القبر، لا إله إلا أنت (ثلاثًا).

اللهم عافنى فى بدين، اللهم عافنى فى سمعى، اللهم عافنى فى بصرى، لا إله إلا أنت (ثلاثًا).

اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت خلقتنى وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء

لك بنعمتك على، وأبوء بذنبى فاغفر لى فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت (ثلاثًا).

اللهم إنى (أصبحت / أمسيت) منك فى نعمة وعافية وستر فأتمم، نعمتك على وعافيتك وسترك فى الدنيا والآخرة (ثلاثًا).

اللهم (ما أصبح بى / ما أمسى بي) من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك فلك الحمد ولك الشكر (ثلاثًا).

يا ربى لك الحمد كما ينبغى لجلال وجهك وعظيم سلطانك (ثلاثًا).

رضيت بالله ربا وبالإسلام دينًا وبسيدنا محمد ﷺ نبيًا ورسولاً (ثلاثًا).

سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته (ثلاثًا).

أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق (ثلاثًا) .

بسم الله الذى لا يضر مع اسمه شىء فى الأرض ولا فى السماء وهو السميع العليم (ثلاثًا).

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم (ثلاثًا).

هُوَ اللهُ الَّذِى لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ.هُوَ اللهُ الَّذِى لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلاَمُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ.هُوَ اللهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ. (مرة)

سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم (ثلاثًا).

تحصنت بذى العزة والجبروت واعتصمت برب الملكوت وتوكلت على الحى الذى لا يموت اصرف عنا الأذى إنك على كل شىء قدير (ثلاثًا) (ويكرر: اصرف عنا الأذى إنك على كل شىء قدير ثلاثًا فى كل مرة من الثلاث).

بسم الله الرحمن الرحيم. لِإِيلافِ قُرَيْشٍ إِيلافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِى أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ. (مرة)

اللهم كما أطعمتهم فأطعمنا وكما آمنتهم فآمنا واجعلنا لك من الشاكرين (مرة)

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك (ثلاثًا)

أستغفر الله العظيم الذى لا إله إلا هو الحى القيوم وأتوب إليه (ثلاثًا)

اللهم صل على سيدنا محمد عبدك ونبيك ورسولك النبى الأمى وعلى آله وصحبه وسلم (ثلاثًا) تسليمًا عدد ما أحاط به علمك وخط به قلمك وأحصاه كتابك والرضا عن ساداتنا أبى بكر، وعمر، وعثمان، وعلى، وعن الصحابة أجمعين وعن التابعين وتابعى التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين (مرة)

لا إله إلا الله (من مائة إلى ألف)، محمد رسول الله (مرة) أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله (ثلاثًا) صلى الله عليه وسلم (مرة) ثبتنا يا رب بقولها (ثلاثًا) وانفعنا يا رب بفضلها (ثلاثًا) واجعلنا من خيار أهلها (ثلاثًا) آمين آمين آمين آمين رب العالمين (ثلاثًا)

أصبحنا فى حماك يا مولانا مسنا فى رضاك يا مولانا (ثلاثًا) فى الصباح (وأما فى المساء فيقال: أمسينا فى حماك يا مولانا صبحنا

فى رضاك يا مولانا) (ثلاثًا) آمين، آمين، آمين، آمين رب العالمين (ثلاثًا).

لا إله إلا أنت واحد ربنا يا مجمعنا اغفر ذنبنا(ثلاثًا) آمين، آمين، آمين، آمين رب العالمين (ثلاثًا).

اغفر لنا ما مضى وأصلح لنا ما بقى بحرمةالأبرار يا عالم الأسرار (ثلاثًا) آمين، آمين، آمين، آمين رب العالمين (ثلاثًا)

يا عالم السر منا لا تكشف الستر عنا (ثلاثًا) آمين، آمين، آمين، آمين رب العالمين (ثلاثًا).

يا مولانا يا مجيب من يرجوك لا يخيب، توسلنا بالحبيب، اقض حاجتنا قريب، هذا وقت الحاجات، ياحاضرًا لا يغيب (ثلاثًا) آمين، آمين، آمين، آمين رب العالمين (ثلاثًا).

اللهم صل وسلم على سيدنا محمد، وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد (عشرًا) آمين، آمين، آمين، آمين رب العالمين (ثلاثًا).

وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

الفاتحة (ثلاثًا) .. إن الله وملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليمًا (مرة) صلوات الله

وسلامه وتحياته ورحمته وبركاته على سيدنا محمد عبدك ونبيك ورسولك النبى الأمى، وعلى آله وصحبه عدد الشفع والوتر، وعدد كلمات ربنا التامات المباركات (ثلاثًا) ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم، وهو حسبنا ونعم الوكيل، فنعم المنولى ونعم النصير (مرة).

سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين

***

أحزاب الشيخ أبى الحسن

أحـزاب الشـيخ ﷺ جامعـة بـين إفـادة العلـم وآداب التوحيد، وتعريف الطريقة، وتلويح الحقيقـة، وذكـر جـلال الله تعالى وعظمته وكبريائه، وذكر حقارة الـنفس وخسـتها، والتنبيـه على خدْعها وغوايتها، والإشارة لوصف الدنيا والخلق وطريـق الفرار من ذلك، ووجه حصوله، والتـذكير بالـذنوب والعيـوب والتنصل منها، مع الدلالة علـى خصـائص التوحيـد وخالصـه، واتباع الشرع ومطالبه، فهى تعليم فى قالب التوجه، وتوجه فى قالب التعليم، من نظرها من حيث العلم وجده كامنا فيها، ومن نظرها من حيث العمل فهى عينه، ومن نظرها من حيث الحـال وجده كامنا فيها، وقد شهد شاهدها بذلك عند الخاص والعام، فلا يسمع أحد من كلامها شيئا إلا وجد له أثرا فـى نفسـه، ولا يقرؤها إلا كان مثل ذلك ما لم يكن مشغولا ببلوى، أو مشـغوفا بدنيا، أو مصروفا بدعوى، أعاذنا الله تعالى من البلاء.

حزب الفتح

وهو الحزب الذى فتح الله به على أبى الحسن، ويسمى أيضًا حزب "الأنوار" نبدأ به الأحزاب للتيمن والبركة.

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم "اللهم" إنا نسألك إيمانًا لا ضد له، ونسألك توحيدًا لا يقابله شرك، وطاعة لا تقابلها معصية، ونسألك محبة لا لشىء ولا على شىء، وخوفًا من شىء، ولا على شىء.

ونسألك تنزيهًا لا من نقص، ولا من دنس بعد التنزيه من النقائص والأدناس، ونسألك يقينًا لا يقابله شك، ونسألك تقديسًا ليس وراءه تقديس، وكمالاً ليس وراءه كمال، وعلمًا ليس فوقه علم، ونسألك الإحاطة بالأسرار وكتمائنها عن الأغيار.

رب إنى ظلمت نفسى: فاغفر لى ذنبى وهب لى تقواك، واجعلنى ممن يحبك ويخشاك، واجعل لى من كل ذنب وهم وغم وضيق، وسهو، وشهوة، ورغبة، ورهبة، وخطرة، وفكرة وإرادة وفعلة وغفلة ومن كل قضاء وأمر مخرجًا. أحاط علمك بجميع

المعلومات، وعلت قدرتك على جميع المقدورات، وجلت إرادتك أن يوافقها أو يخالفها شيء من الكائنات، حسبى الله، حسبى الله، حسبى الله، وأنا برىء مما سوى الله.

الله لا إله إلا هو عليه توكلت، وهو رب العرش العظيم

لا إله إلا الله نور عرش الله

لا إله إلا الله نور لوح الله

لا إله إلا الله نور قلم الله

لا إله إلا الله نور رسول الله

لا إله إلا الله نور سر رسول الله

لا إله إلا الله نور سر ذات رسول الله

لا إله إلا الله آدم خليفة الله.

لا إله إلا الله نوح نجى الله.

لا إله إلا الله إبراهيم خليل الله

لا إله إلا الله موسى كليم الله

لا إله إلا الله عيسى روح الله

لا إله إلا الله محمد حبيب الله

لا إله إلا الله الأنبياء خاصة الله

لا إله إلا الله الأولياء أنصار الله

لا إله إلا الله الرب الإله النور الحق المبين. لا إله إلا الله الملك اللطيف، الرزاق القوى العزيز، ذو القوة المتين، لا إله إلا الله خالق كل شىء، وهو الواحد القهار، رب السماوات والأرض، وما بينهما العزيز الغفار، لا إله إلا الله العلى العظيم. لا إله إلا الله الحكيم الكريم. لا إله إلا الله الرب العظيم. سبحان الله رب السموات السبع ورب العرش العظيم.

الحمد لله رب العالمين.

بسم الله، وبالله، ومن الله، وإلى الله، وعلى الله فليتوكل المؤمنون.

حسبى الله. آمنت الله، رضيت بالله، توكلت على الله، لا قوة إلا بالله.

أتوب إليك بك منك إليك، ولولا أنت لما تبت إليك، فامح من قلبى محبة غيرك، واحفظ جوارحى عن مخالفة أمرك، والله لئن لم ترعنى بعينك، وتحفظنى بقدرتك، لأهكلن نفسى، ولأهلكن أمة من خلقك، ثم لا يعود ضرر ذلك إلا على عبدك، أعوذ برضاك من سخطك، وأعوذ بمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك، لا

أحصى ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك، بل أنت أجل من أن أثنى عليك، وإنما هى أعراض تدل على أقدارنا لا على قدرك، فهل جزاء الإحسان الأول الكامل إلا الإحسان منك.

يا من به ومنه وإليه يعود كل شىء. أسألك بحرمة الأستاذ، بل بحرمة النبى الهادى ﷺ وبحرمة الاثنين والأربعة، وبحرمة السبعين والثمانية وبحرمة أسرارها منك إلى محمد رسولك ﷺ وبحرمة سيدة آى ألقرآن من كلامك، وبحرمة السبع المثانى والقرآن العظيم بين كتبك، وبحرمة الاسم الأعظم الذى لا يضر معه شىء فى الأرض، ولا فى السماء، وهو السميع العليم، وبحرمة قل هو الله أحد، الله الصمد، لم يلد، ولم يولد، ولم يكن له كفوًا أحد.

اكفنى كل غفلة وشهوة ومعصية، مما تقدم أو تأخر، واكفنى كل طالب يطلبنى من خلقك بالحق، وبغير الحق فى الدنيا والآخرة، فإنه لك الحجة البالغة وأنت على كل شىء قدير، واكفنى هم الرزق وخوف الخلق، واسلك بى سبيل الصدق، وانصرنى بالحق، واكفنا كل عذاب من فوقنا أو من تحت أرجلنا، أو يلبسنا شيعًا، أو يذيق بعضنا بأس بعض، واكفنا كل هم وغم وكل هول

دون الجنة، واكفنا شر ما تعلق به علمك مما كان ويكون، إنك على كل شيء قدير.

سبحان الملك الخلاق، سبحان الخلاق الرزاق، سبحان الله عما يصفون، عالم الغيب، والشهادة فتعالى عما يشركون، سبحان ذى العزة، والجبروت، سبحان ذى الملك والملكوت، سبحان من يحيى ويميت، سبحان الحى الذى لا يموت، سبحان الملك القادر، سبحان العظيم القاهر، وهو القاهر فوق عباده، وهو الحكيم الخبير.

قل حسبى الله لا إله إلا هو عليه ، توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون.

أعوذ بالله من جهد البلاء، ومن سوء القضاء، ومن درك الشقاء، ومن شماتة الأعداء، وأعوذ بالله ربى وربكم، ورب كل شيء من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب.

يا من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه: انصرنى بالخوف منك والتوكل عليك، حتى لا أخاف غيرك، ولا أعبد شيئًا سواك.

يا خالق السبع سماوات ومن الأرض مثلهن، يتنزل الأمر بينهن، أشهد أنك على كل شىء قدير، وإنك قد أحطت بكل شىء علمًا، أسألك بهذا الأمر الذى هو أصل الموجودات، وإليه المبدأ والمنتهى، وإليه غاية الغايات، أن تسخر لنا هذا البحر، بحر الدنيا، وما فيه ومن فيه، كما سخرت البحر لموسى، وسخرت النار لإبراهيم، وسخرت الجبال والحديد لداود، وسخرت الرياح والشياطين والجن لسليمانه، وسخر لى كل بحر هو لك، وسخر لى كل جبل، وسخر لى كل حديد، وسخر لى كل ريح، وسخر لى كل شيطان من الجن والإنس، وسخر لى نفسى، وسخر لى كل شىء، يا من بيده ملكوت كل شىء، واحمل أمرى باليقين، وأيدنى بالنصر المبين، إنك على كل شىء قدير.

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

حزب البحر(*)

بسم الله الرحمن الرحيم

يا على يا عظيم يا حليم أنت ربى وعلمك حسبى فنعم الرب ربى، ونعمك الحسب حسبى، تنصر من تشاء وأنت العزيز الحكيم.

نسألك العصمة فى الحركات، والسكنات، والكلمات، والإرادات، والخطرات من الظنون، والشكوك، والأوهام السائرة للقلوب عن مطالعة الغيوب، فقد ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديدًا، وإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلاَّ غُرُورًا.

فثبتنا وانصرنا، وسخر لنا هذا البحر، كما سخرت البحر لموسى، وسخرت النار لإبراهيم، وسخرت الجبال والحديد لداود، وسخرت الريح والشياطين والجن لسليمان، وسخر لنا كل بحر هو ذلك فى الأرض والسماء والملكوت، وبحر الدنيا وبحر الآخرة، وسخر لنا كل شىء يا من بيده ملكوت كل شىء.

(*) حزب البحر يقرأ بعد العصر فى التقاليد الشاذلية، وقال فيه سيدنا أبو الحسن الشاذلى ﷺ: حزب البحر لما قرئ له.

كهيعص، كهيعص، كهيعص انصرنا فإنك خير الناصرين، وافتح لنا فإنك خير الفاتحين، واغفر لنا فإنك خير الغافرين، وارحمنا فإنك خير الراحمين، وارزقنا فإنك خير الرازقين، واهدنا ونجنا من القوم الظالمين، وهب لنا ريحًا طيبة كما هى فى علمك، وانشرها علينا من خزائن رحمتك، واحملنا بها وحمل الكرامة مع السلامة، والعافية فى الدين والدنيا والآخرة إنك على كل شىء قدير.

اللهم يسر لنا أمورنا مع الراحة لقلوبنا وأبداننا، والسلامة والعافية فى دنيانا وديننا، وكن لنا صاحبا فى سفرنا وخليفة فى أهلنا، واطمس على وجوه أعدائنا وامسخهم على مكانتهم فلا يستطيعون المضى ولا المجىء إلينا.

(وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّى يُبْصِرُونَ. وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَى مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيّاً وَلا يَرْجِعُونَ) (يس. وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ. إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِين. عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ. تَنزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ. لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ. لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ. إِنَّا جَعَلْنَا فِى أَعْنَاقِهِمْ أَغْلاَلاً فَهِى إِلَى الأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ. وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا

فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ).. شاهت الوجوه.. شاهت الوجوه.. شاهت الوجوه. وعنت الوجوه للحى القيوم وقد خاب من حمل ظلماً. طس . حم عسق. مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخٌ لايبغيان .

حم. حم. حم. حم. حم. حم. حم. حمَّ الأمر وجاء النصر فعلينا لا ينصرون.

حم . تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم . غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب. ذى الطول لا إله إلا هو إليه المصير.

(بسم الله) بابنا، (تبارك) حيطاننا، (يس) سقفنا، (كهيعص) كفايتنا، (حم عسق) حمايتنا، فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم. فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم. فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم.

ستر العرش مسبول علينا، وعين الله ناظرة إلينا بحول الله لا يقدر علينا.

﴿وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾ ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِين﴾، ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾، ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾.

﴿إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾، ﴿إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾، ﴿إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾.

﴿حَسْبِيَ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾

﴿حَسْبِيَ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾

﴿حَسْبِيَ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾

بسم الله الذى لا يضر مع اسمه شىء فى الأرض ولا فى السماء، وهو السميع العليم، بسم الله الذى لا يضر مع اسمه شىء فى الأرض ولا فى السماء، وهو السميع العليم، بسم الله الذى لا يضر مع اسمه شىء فى الأرض ولا فى السماء، وهو السميع العليم.

ولا حول ولا قوة إلا الله العلى العظيم، ولا حول ولا قوة إلا الله العلى العظيم، ولا حول ولا قوة إلا الله العلى العظيم.

***

حزب البر (الحزب الكبير)(*)

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

بديع السموات والأرض، أنى يكون له ولد، ولم تكن له صاحبة، وخلق كل شيء، وهو بكل شيء عليم.

﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْء فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْء وَكِيلٌ لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ .

آلر. كهيعص. حم. عسق.

(*) الوقت المختار لهذا الحزب - فى العرف الشاذلى- بعد صلاة الصبح، ولا يتكلم حال تلاوته، وقد روى عن أبى الحسن أنه قال عنه: من قرأ حزبنا فله ما لنا وعليه ما علينا.

رب احكم بالحق وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون. ﴿طه مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى إِلاَّ تَذْكِرَةً لِمَنْ يَخْشَى تَنْزِيلاً مِمَّنْ خَلَقَ الأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلا الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ لَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾.

اللهم إنك تعلم أنى بالجهالة معروف، وأنت بالعلم موصوف، وقد وسعت كل شىء من جهالتى بعلمك فسع ذلك برحمتك، كما وسعته بعلمك واغفر لى أنك على كل شىء قدير.

يا الله يا ملك يا وهاب هب لنا من نعماك ما علمت لنا فيه رضاك، واكسنا كسوة تقنا بها من الفتن فى جميع عطاياك، وقدسنا عن كل وصف يوجب نقصًا مما استأثرت به فى علمك عمن سواك.

يا الله يا عظيم يا على يا كبير، نسألك الفقر مما سواك، والغنى بك حتى لا نشهد إلا إياك، والطف بنا فيهما لطفًا علمته يصلح لمن والاك، واكسبنا جلابيب العصمة فى الأنفاس، واللحظات،

واجعلنا عبيدًا لك فى جميع الحالات، وعلمنا من لدنك علمًا نصير به كاملين فى المحيا والممات.

اللهم أنت الحميد الرب المجيد الفعال لما تريد، تعلم فرحنا بماذا، ولماذا، وعلى ماذا، وتعلم حزننا كذلك، وقد أوجبت كون ما أردته فينا ومنا، ولا نسألك دفع ما تريد، ولكن نسألك التأييد بروح من عندك فيما تريد كما أيدت أنبياءك ورسلك وخاصة الصديقين من خلقك إنك على كل شىء قدير.

اللهم فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك، فهنيئًا لمن عرفك فرضى بقضائك، والويل لمن لم يعرفك، بل الويل ثم الويل لمن أقر بوحدانيتك، ولم يرض بأحكامك.

اللهم إن القوم قد حكمت عليهم بالذل حتى عزوا، وحكمت عليهم بالفقد حتى وجدوا، فكل عز يمنع دونك، فنسألك بدله ذلاً تصحبه لطائف رحمتك، وكل وجد يحجب عنك، فنسألك عوضه فقدا تصحبه أنوار محبتك، فإنه قد ظهرت السعادة على من أحببته، وظهرت الشقاوة على من غيرك ملكه، فهب لنا من مواهب السعداء، واعصمنا من موارد الأشقياء.

اللهم إنا قد عجزنا عن دفع الضر عن أنفسنا من حيث نعلم بما نعلم، فكيف لا نعجز عن ذلك من حيث لا نعلم بما لا نعلم، وقد أمرتنا ونهيتنا، والمدح والذم ألزمتنا فأخو الصلاح من أصلحته، وأخو الفساد من أضللته، والسعيد حقًا من أغنيته عن السؤال منك، والشقى حقًا من حرمته مع كثرة السؤال لك، فأغننا بفضلك عن سؤالنا منك، ولا تحرمنا من رحمتك، مع كثرة سؤالنا لك، إنك على كل شىء قدير.

يا شديد البطش، يا جبار يا قهار يا حكيم، نعوذ بك من شر ما خلقت، ونعوذ بك من ظلمة ما أبدعت، ونعوذ بك من كيد النفوس فيما قدرت وأردت، ونعوذ بك من شر الحساد على ما أنعمت، ونسألك عز الدنيا والآخرة، كما سألك نبيك سيدنا محمد ﷺ عز الدنيا بالإيمان والمعرفة، وعز الآخرة باللقاء والمشاهدة إنك سميع قريب مجيب.

اللهم إنى أقدم إليك بين يدى كل نفس ولمحة وطرفة، يطرف بها أهل السماوات، وأهل الأرض، وكل شىء هو فى علمك كائن، أو قد كان، أقدم إليك بين يدى ذلك كله ﴿اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَى الْقَيُّومُ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ لَهُ مَا فِى السَّمَاوَاتِ وَمَا

فِى الأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِى يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَلا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِى الْعَظِيمُ﴾.

أقسمت عليك ببسط يديك وكرم وجهك، ونور عينيك، وكمال أعينك أن تعطينا خير ما نفذت به مشيئتك، وتعلقت به قدرتك، وأحاط به علمك، واكفنا شر ما هو ضد لذلك، وأكمل ديننا، وأتمم علينا نعمتك، وهب لنا حكمة الحكمة البالغة، مع الحياة الطيبة، والموتة الحسنة، وتول قبض أرواحنا بيدك، وحل بيننا وبين غيرك فى البرزخ وما قبله، وما بعده بنور ذاتك وعظيم قدرتك، وجميل فضلك إنك على كل شىء قدير.

يا الله يا على يا عظيم، يا حليم، يا حكيم، يا كريم، يا سميع، يا قريب، يا مجيب، يا دود، حل بيننا وبين فتنة الدنيا والنساء، والغفلة، والشهوة، وظلم العباد، وسوء الخلق، واغفر لنا ذنوبنا واقض عنا تبعاتنا، واكشف عنا السوء، ونجنا من الغم، واجعل لنا منه مخرجًا إنك على كل شىء قدير.

يا الله، يا الله، يا الله، يا لطيف يا رزاق يا قوى يا عزيز لك مقاليد السماوات والأرض تبسط الرزق لمن تشاء وتقدر، فابسط لنا من الرزق ما توصلنا به إلى رحمتك، ومن رحمتك ما تحول به بيننا وبين نقمتك، ومن حلمك ما يسعنا به عفوك، واختم لنا بالسعادة التى ختمت بها لأوليائك، واجعل خير أيامنا وأسعدها يوم لقائك، وزحزحنا فى الدنيا عن نار الشهوة، وأدخلنا بفضلك فى ميادين الرحمة، واكسنا من نورك جلابيب العصمة، واجعل لنا ظهيرًا من عقولنا ومهيمنًا من أرواحنا، ومسخرًا من أنفسنا كى نسبحك كثيرًا، ونذكرك كثيرًا، إنك كنت بنا بصيرًا وهب لنا مشاهدة تصحبها مكالمة، وافتح أسماعنا، وأبصارنا، واذكرنا إذا غفلنا عنك بأحسن مما تذكرنا به إذا ذكرناك، وارحمنا إذا عصيناك، بأتم مما ترحمنا به إذا أطعناك. واغفر لنا ذنوبنا مما تقدم منها وما تأخر والطف بنا لطفًا يحجبنا عن غيرك، ولا يحجبنا عنك فإنك بكل شىء عليم.

اللهم إنا نسألك لسانًا رطبًا، يذكرك، وقلبًا منعمًا يشكرك وبدنًا هينًا لينًا بطاعتك واعطنا مع ذلك ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، كما أخبر به رسولك ﷺ

حسب ما علمته بعلمك، واغننا بلا سبب واجعلنا سبب الغنى لأوليائك وبرزخًا بينهم وبين أعدائك إنك على كل شيء قدير.

اللهم إنا نسألك إيمانًا دائمًا، ونسألك قلبًا خاشعًا، ونسألك علمًا نافعًا، ونسألك يقينًا صادقًا، ونسألك دينًا قيمًا، ونسألك العافية من كل بلية، ونسألك تمام العافية، ونسألك دوام العافية، ونسألك الشكر على العافية، ونسألك الغنى عن الناس **(ثلاث مرات)**.

اللهم إنا نسألك التوبة الكاملة، والمغفرة الشاملة، والمحبة الكاملة الجامعة، والخلة الصافية، والمعرفة الواسعة، والأنوار الساطعة، والشفاعة القائمة، والحجة البالغة، والدرجة العالية، وفك وثاقنا من المعصية ورهاننا من النقمة بمواهب المنة.

اللهم إنا نسألك التوبة ودوامها، ونعوذ بك من المعصية وأسبابها، فذكرنا بالخوف منك قبل هجوم خطراتها، واحملنا على النجاة منها، ومن التفكر فى طرائقها وامح من قلوبنا حلاوة ما اجتنبناه منها، واستبدلها بالكراهة لها، والطعم لما هو بضدها.

وأفض علينا من بحر كرمك وعفوك حتى نخرج من الدنيا على السلامة من وبالها واجعلنا عند الموت ناطقين بالشهادة عالمين بها، وارأف بنا رأفة الحبيب بحبيبه عند الشدائد ونزولها، وأرحنا من هموم الدنيا، وغمومها بالروح والريحان إلى الجنة ونعيمها.

اللهم إنا نسألك توبة سابقة منك إلينا لتكون توبتنا تابعة إليك منا، وهب لنا التلقى منك كتلقى آدم منك الكلمات، ليكون قدوة لولده فى التوبة، والأعمال الصالحات، وباعد بيننا وبين العناد والإصرار والشبه بإبليس رأس الغواة، واجعل سيئاتنا سيئات من أحببت، ولا تجعل حسناتنا حسنات من أبغضت، فالإحسان لا ينفع مع البغض منك والإساءة لاتضر مع الحب منك، وقد أبهمت الأمر علينا لنرجو ونخاف، فآمن خوفنا ولا تخيب رجاءنا وأعطنا سؤلنا فقد أعطيتنا الإيمان من قبل أن نسألك وكتبت وحببت وزينت، وكرهت، وأطلقت الألسن بما به ترجمت، فنعم الرب أنت فلك الحمد على ما أنعمت، فاغفر لنا ولا تعاقبنا بالسلب بعد العطاء، ولا بكفران النعم وحرمان الرضا.

اللهم رضنا بقضائك، وصبرنا على طاعتك، وعن معصيتك، وعن الشهوات الموجبات للنقص، أو البعد عنك وهب لنا حقيقة الإيمان بك حتى لا نخاف غيرك، ولا نرجو غيرك، ولا نحب غيرك، ولا نعبد شيئًا سواك، وأوزعنا شكر نعمتك وغطنا برداء عافيتك، وانصرنا باليقين والتوكل عليك وأسفر وجوهنا بنور صفاتك، وأضحكنا وبشرنا بيوم القيامة بين أوليائك، واجعل يدك مبسوطة علينا، وعلى أهلينا، وأولادنا ومن معنا برحمتك، ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين، ولا أقل من ذلك يا نعم المجيب، يا نعم المجيب، يا نعم المجيب.

يا من هو هو هو فى علوه قريب يا ذا الجلال والإكرام، يا محيطًا بالليالى والأيام، أشكو إليك من غم الحجاب، وسوء الحساب وشدة العذاب، وأن ذلك لواقع ما له من دافع إن لم ترحمنى.

لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين.

لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين.

لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين.

ولقد شكا إليك يعقوب فخلصته من حزنه، ورددت عليه ما ذهب من بصره وجمعت بينه وبين ولده، ولقد ناداك نوح من

قبل فنجيته من كربه، ولقد ناداك أيوب من بعد فكشفت ما به من ضره، ولقد ناداك يونس فنجتيه من غمه، ولقد ناداك زكرياء فوهبت له ولدًا من صلبه بعد يأس أهله وكبر سنه، ولقد علمت ما نزل بإبراهيم فأنقذته من نار عدوه، وأنجيت لوطًا وأهله من العذاب النازل بقومه، فهانذا عبدك أن تعذبنى بجميع ما علمت من عذابك فأنا حقيق به وأن ترحمنى كما رحمتهم مع عظيم إجرامى فأنت أولى بذلك، وأحق من أكرم به، فليس كرمك مخصوصًا بمن أطاعك وأقبل عليك، بل هو مبذول بالسبق لمن شئت من خلقك، وإن عصاك وأعرض عنك، وليس من الكرم أن لا تحسن إلا لمن أحسن إليك، وأنت المفضال الغنى بل من الكرم أن تحسن إلى من أساء إليك، وأنت الرحيم العلى كيف وقد أمرتنا أن نحسن إلى من أساء إلينا فأنت أولى بذلك منا.

﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾

﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾

﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾

يا الله، يا الله، يا الله، يا رحمن، يا رحمن، يا رحمن.

يا قيوم، يا قيوم، يا قيوم.

يا من هو، هو، هو، يا هو، يا هو، يا هو، إن لم نكن لرحمتك أهلاً أن ننالها فرحمتك أهل أن تنالنا، يا رباه، يا رباه، يا رباه، يا مولاه، يا مولاه، يا مولاه.

يا مغيث من عصاه، يا مغيث من عصاه، يا مغيث من عصاه، أغثنا، أغثنا، أغثنا، يا رب يا كريم، وارحمنا يا بر يا رحيم، يا من وسع كرسيه السماوات والأرض، ولا يؤده حفظهما وهو العلى العظيم.

أسألك الإيمان بحفظك إيمانًا يسكن به قلبى من هم الرزق، وخوف الخلق، واقرب منى بقدرتك، قربًا تمحق به عنى كل حجاب، محقته عن إبراهيم خليلك فلم يحتج لجبريل رسولك ولا لسؤاله منك، وحجبته بذلك عن نار عدوه، وكيف لا يحجب عن مضرة الأعداء من غيبته عن منفعة الأحياء، كلا إنى

أسألك أن تغيبنى بقربك منى حتى لا أرى ولا أحس بقرب شىء ولا ببعده عنى، إنك على كل شىء قدير.

﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾.

﴿هُوَ الْحَى لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ .

إن الله وملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليمًا.

اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد وبارك على سيدنا محمد، وعلى آل سيدنا محمد، كما صليت، وباركت على سيدنا إبراهيم، وعلى آل سيدنا إبراهيم فى العالمين إنك حميد مجيد.

اللهم ارض عن ساداتنا الخلفاء الراشدين، أبى بكر الصديق، وعمر، وعثمان، وعلى، وارض اللهم عن سيدنا الحسن، وعن سيدنا الحسين، وعن أمهما فاطمة الزهراء، وعن الصحابة

أجمعين، وعن أزواج نبيك الطاهرات أمهات المؤمنين، وعن التابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

***

حزب اللطف

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ. إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ. اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ. صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ.

اللهم اجعل أفضل الصلوات وأنمى البركات فى كل الأوقات على سيدنا محمد أكمل أهل الأرض والسماوات وسلم عليه يا ربنا أزكى التحيات فى جميع الحضرات.

اللهم يا من لطفه بخلقه شامل، وخيره لعبده واصل، لا تخرجنا من دائرة الألطاف، وآمنا من كل ما نخاف، وكن لنا بلطفك الخفى الظاهر يا باطن يا ظاهر يا لطيف، نسألك وقاية اللطف فى القضاء والتسليم مع السلامة عند نزوله والرضا.

اللهم إنك أنت العليم بما سبق فى الأزل، فحفنا بلطفك فيما نزل، يا لطيفا لم يزل، واجعلنا فى حصن التحصين بك يا أول يا من إليه الالتجاء وعليه المعول.

اللهم يا من ألقى خلقه فى بحر قضائه، وحكم عليهم بحكم قهره وابتلائه، اجعلنا ممن حمل فى سفينة النجاة ووقى من جميع الآفات.

إلهنا من رعته عين رعايتك كان ملطوفا به فى التقدير محفوظا ملحوظا بعنايتك، يا قدير يا سميع يا قريب يا مجيب الدعاء ارعنا بعين رعايتك يا خير من رعى.

إلهى لطفك الخفى ألطف من أن يُرى وأنت اللطيف الذى لطفت بجميع الورى، حجبت سريان سرك فى الأكوان، فلا يشهده إلا أهل المعرفة والعيان، فلما شهدوا سر لطفك بكل شيء أمنوا به من سوء كل شيء، فأشهدنا سر هذا اللطف الواقى ما دام لطفك الدائم الباقى.

إلهنا حكم مشيئتك فى العبيد لا ترده همةُ عارف ولا مريد، لكن فتحت لنا أبواب الألطاف الخفية المانعة حصونها من كل بلية فأدخلنا بلطفك تلك الحصون، يا من يقول للشيء كن فيكون.

إلهنا أنت اللطيف بعبادك لاسيما بأهل محبتك وودادك، فبأهل المحبة والوداد خصنا بلطائف اللطف يا جواد.

إلهنا اللطف صفتك، والألطاف خلقك، وتنفيذ حكمك فى خلقك حقك، ورأفة لطفك بالمخلوقين تمنع استقصاء حقك فى العالمين.

إلهنا لطفت بنا قبل كوننا ونحن للطف غير محتاجين، أفتمنعنا منه مع الحاجة له وأنت أرحم الراحمين، حفنا بلطفك الكافى وجودك الوافى.

إلهنا لطفك هو حفظك إذا رعيت، وحفظك هو لطفك اذا وقيت، فأدخلنا سرادقات لطفك، واضرب علينا اسوار حفظك، يا لطيف نسألك اللطف أبدا، يا حفيظ قنا السوء وشر العدا، يا لطيف، يا لطيف، يا لطيف، من لعبدك العاجز الخائف الضعيف.

اللهم كما لطفت بى قبل سؤالى وكونى، كن لى لا على يا أمنى وعونى.

الله لطيف بعباده يرزق من يشاء وهو القوى العزيز، يا لطيف، أُنسَ الخائف فى حال المخيف تآنست بلطفك يا لطيف، تحصنت بلطفك يا لطيف، وقيت باطفك الردى وتحجبت بلطفك من العدا، يا لطيف يا حفيظ، والله من ورائهم محيط بل هو قرآن

مجيد فى لوح محفوظ، نجوت من كل خطب جسيم بقول ربى: ولا يئوده حفظهما وهو العلى العظيم، سلمت من كل شيطان وحاسد بقول ربى: وحفظا من كل شيطان مارد، كفيت كل هم فى كل سبيل بقولى حسبى الله ونعم الوكيل، اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَى الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِى السَّمَاوَاتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِى يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِى الْعَظِيمُ. لَا إِكْرَاهَ فِى الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الغَى فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ. اللَّهُ وَلِى الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ.

لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ. فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِى اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ.

بسم الله الرحمن الرحيم. لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ. إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ. فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ. الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ.

اكتفيت بـ (كهيعص)، واحتميت بـ (حم عسق)، قوله الحق وله الملك، سلام قولا من رب رحيم.

اللهم بحق هذه الأسرار قنا الشر والأشرار، وكل ما أنت خالقه من الأكدار، قل من يكلؤكم بالليل والنهار، بحق كلاءة رحمانيتك اكلأنا ولا تكلنا إلى غير إحاطتك، رب هذا ذل سؤالى فى بابك لا حول ولا قوة إلا بك.

اللهم صل على من أرسلته رحمة للعالمين سيدنا محمد خاتم النبيين ﷺ ومجد وعظم وشرف وكرم، سيدى لا تخلنى من الرحمة والأمان يا حنان يا منان، وسلام على جميع الأنبياء والمرسلين والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد النبى الأمى وعلى آله وصحبه وسلم.

الفهرس

* * *